بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتاب النوادر

[أخبار عروة بن حزام مع ابنة عمه عفراء وقصيدته التونيه]

قال أبو على حدّثنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله تعالى قال حدّثنا أبو على الحسن بن عُلَيْل العَنَزِى قال حدّثنا على بن الصَّبَّاح قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنا هشام بن محمد أبو السائب المخزومى عن هشام بن عروة عن أبيه عن السكن بن سعيد عن النعمان بن بشير قال : استعملنى معاوية رضى الله عنه على صدقات بَلِيٍّ وعُذْرة ، فإنّى لَفِى بعض مياههم اذ أنا ببيتٍ مُنْحَرِد ناحيةً ، واذا بفِنائه رجلٌ مُسْتَلْقٍ وعنده امرأة وهو يقول أو يتغنى بهذه الأبيات :

جَعَلْتُ لعَرَّاف اليَمامة حُكْمَه * وعَرّافِ نجد إن هما شَفَيانِى

فقالا نَعَمْ نَشْفِى من الداء كلِّه * وقاما مع العُوَّاد يَبْتَدِران

فما تَرَكا من رُقْيَةٍ يَعلمانِها * ولا سَلْوةٍ الا وقد سَقَيانى

فقالا شفاك الله والله ما لَنا * بما حُمِّلَتْ منك الضلوعُ يَدَان

فقلت لها : ما قصته؟ فقالت : هو مريض ما تكلّم بكلمة ولا أنّ أَنَّةً منذ وقت كذا وكذا الى الساعة ، ثم فتح عينيه وأنشأ يقول :

من كان مِنْ أُمَّهاتى باكيا أبدا * فاليومَ إنى أرَانى اليومَ مقبوضا

يُسْمِعْنَنِيه فإنى غير سامعه * اذا حُمِلْتُ على الأعناق معروضا (١)

ثم خَفَتَ فمات ، فغَمَّضْتُه وغَسَّلته وصلّيت عليه ودفنْتُه ، وقلت للمرأة : من هذا؟ فقالت : هذا قتيل الحُبِّ ! هذا عُرْوة بن حِزَام ! .

---

(١) بهامش الأصل فى نسخة : اذا علوت رقاب القوم معروضا الخ .

قال أبو على قال أبو بكر : وقصيدةُ عروةَ هـذه النونيةُ يختلف فيها الناس فى بعض الأبيات ويتفقون على بعضها ، فالأول الأبيات المجتمَع عليها وما يتلوها مما يُختَلَف فيه . أنشدنى جميعَه أبى رحمه الله عن أحمد بن عُبَيد وغيره وعبدُ الله بن خَلَف الدَّلَّال عن أبى عبد الله السَّدُوسى وأبو الحسن بن البَرَاء عن الزُّبَير بن بَكَّار وألفاظُهم مختلِطٌ بعضُها ببعض ، وهى هذه :

خليلىَّ من عُلْيا هلال بن عامر * بصَنْعاء عُوجَا اليومَ وانتظرانى
ولا تَرْهَدا فى الأجر عندى وأحملا * فإنَّكما بى اليَـوْمَ مُبْتَلِيَانِ
ألم تعلما أن ليس بالمَـرْخِ كلِّه * أخٌ وصـديق صالح فَذَرانى
أفى كلِّ يومٍ أنتَ رامٍ بلادهـا * بعَيْنَيْن إنسانا هما غَرِقان
ألا فاحمـلانى بارك الله فيكما * الى حاضر الرَّوْحاء ثُمَّ دعانى
على جَسْرة الأَصْلَاب ناجِيَة السُّرَى * تُقَطِّع عَرْضَ البِيـدِ بالوَخَدان
أَلِمَّا على عَفْـراء إنكما غدًا * بشَحْط النَّوَى والبَيْن مُعْـتَرِفان
فيا واشِيَىْ عَفْرا دَعَانى ونَظْـرةً * تَقَـرُّ بهـا عَيْناىَ ثم كِلَانِى
أغَرَّكما مِـنِّى قميصٌ لَبِسْـتُه * جَدِيدٌ وبُرْدَا يَمْنَـةٍ زَهِيَـانِ
مَـتَى تَرْفعا عنِّى القَمِيصَ تَبَيَّنَـا * بِىَ الضُّرَّ من عَفْـراءَ يا فَتَيَان
وتَعْـتَرِفا لَحْمًـا قليـلا وأَعْظُما * رِقَاقًا وقَلْبـا دائمَ الخَفَقَان
على كَبِدى من حُبِّ عَفْراء قُرْحةٌ * وعَيْنَاىَ مِنْ وَجْدٍ بهـا تَكِفَان
فَعَفْراءُ أرجَى الناس عندى مَوَدَّةً * وعَفْـراءُ عنِّى المُعْرِض المُتَوَانى

قال أبو بكر قال بعض البصريين : ذَكَّرَ المُعْرِض ، لأنه أراد : وعفراءُ عنِّى الشخصُ المعرِضُ . وقال الكوفيون : ذكَّره بناء على التشبيه ، أراد : وعفراءُ عنِّى مثلُ المعرض ، كما تقول العرب : عَبْدُ الله الشمسُ مُنِيرةً ، يريدون مِثْل الشمس فى حالة إنارتها .

فيالَيْتَ كلَّ اثنين بينهما هَـوًى * من النـاس والأنعام يَلْتَقِيان
فيقضى حبيبٌ من حبيب لُبَـانَةً * ويَرْعاهما ربِّى فـلا يُرَيان (١)

(١) بهامش الأصل ما نصه ويروى : ويسترهما ، بسكون الراء بدل قوله ويرعاهما على أن الأصل ويسترهما مضموم الراء فسكنت لكثرة الحركات اهـ .

هَـوَى ناقتى خَلْفِى وقُدَّامِىَ الهوى * وإنِّى وإيَّاها لَمُخْتَلِفان
هوايَ أَمَامِى، ليس خَلْفِى مُعَـرَّجٌ * وشَوْقُ قَلُوصِى فى الغُـدُوِّ يَمانى
هَـوَايَ عِرَاقِىٌّ وتَثْنِى زمامَـها * نَـبَرْقٍ اذا لاح النجـومُ يمانى
مَتَى تَجْمَعِى شَـوْقِى وشَوْقَكِ تَظْلَعِى * وما لَكِ بالعِبْء الثقِيـل يَدَانِ
فيـا كَبِدَيْنا من مَخَافة لَوْعَة الـ * ـفِرَاقِ ومن صَرْف النَّـوَى تَجِفَانِ(١)
وإذ نَحْنُ مِنْ أن تَشْحَط الدارُ غُربةً * وأن شُقَّ للبَيْنِ العصا وَجِلان
يقول لىَ الأصحابُ اذ يَعْـذُلُونَنى * أشَـوْقٌ عراقىٌّ وأنت يمانى
وليس يَمَانٍ للعِـراق بصاحب * عَسَى فى صُروف الدهر يلتقيـان
تَحَمَّلْت من عَفْراء ماليس لى به * ولا للجبـالِ الرَّاسِـيَاتِ يَدَانِ
كأنَّ قَطـاةً عُلِّقَتْ بجناحها * على كَبِدى من شِـدَّة الخَفَقان
جعلت لعـرّاف اليمامة حكمـه * وعرافِ نجـد إن هما شفيانى
فقـالا نعمْ نَشْفِى من الداء كلِّه * وقاما مع العـوّاد يَبْتَدِرَانِ
فما تركا من رقيـة يعلمانها * ولا سـلوة الا وقد سـقيانى
وما شَـفَيَا الداءَ الذى بى كلَّه * ولا ذَخَـرَا نُصْحا ولا أَلَوَانى(٢)
فقـالا شـفاك اللهُ واللهِ ما لنـا * بما ضُمِّنَتْ منـك الضلوعُ يَدَان
فَرُحْت من العرّاف تسـقُط عِمَّتى * عن الرأس ما أَلْتـامُها بِبَنَان
مَعِى صاحبا صِدْق اذا مِلْتُ مَيْـلة * وكانا بدَفِّىْ نِضْـوتى عَدَلانى
فيـا عَمِّ يا ذا الغَدْر لا زلت مُبْتَـلًى * حَلِيـفا لِهَمٍّ لازمٍ وهوان
غَدَرْتَ وكان الغـدرُ منك سَجِيَّـةً * فأَلْزَمْتَ قلـبى دائمَ الخَفَقان
وأَوْرَثْتَنى غَمًّـا وكَرْبًا وحَسْرة * وأورثت عيـنى دائم الهَمَلان
فلا زِلتَ ذا شوق الى من هَوِيتَـه * وقَلْبُـك مقسوم بكل مكان
وإنى لأهْوَى الحشر اذ قيـل إننى * وعَفْـراءَ يوم الحشر مُلْتَقِيان

(١) تجف : تخفق وتضطرب . (٢) ما ألوانى : ما قصّرا فى حق .

ألا يا غُرَابَىْ دِمْنَـــةِ الدار بَيِّنَا * أبالهجر من عفـــراءَ تَنْتَحِبان
فان كان حَقًّا ما تقولان فاذْهَبَا * بلَحْمى الى وَكْرَيْكُما فكُلانى
كُلانِى أَكْلًا لم يرالنـاسُ مثـلَه * ولا تَهْضِما جَنْـبَىَّ وازْدَرِدَانى
ولا يَعْلَمَنَّ الناسُ ما كان قِصَّتى * ولا يأكُلَنَّ الطـيرُ ما تَذَرانِ
أَنَاسِـيَةٌ عَفراءُ ذِكْرِىَ بَعْـدَما * تَرَكْتُ لها ذِكْرًا بكل مكان
ألا لعَنَ اللهُ الوُشاةَ وقَوْلَهُـم * فـلانةُ أَضْحَتْ خُـلَّةً لفلان
اذا ما جَلَسْـنا مجلسا نَسْـتَلِذُّه * تَوَاشَـوْا بنـا حَتَّى أَمَـلَّ مكانى
تَكَنَّفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحـدٌ لكفانى
ولو كان واش باليمامة أرضُـه * أُحاذره من شُـؤْمه لأتانى
يُكَلِّفنى عَمِّى ثمانين ناقـةً * وما لِىَ والرَّحمنِ غَـيْرُ ثمان
فيـا ليت مَحْيـانا جميعـا ولَيْتَنـا * اذا نحن مُتْنا ضَمَّنـا كَفَنان
و يا ليت أنَّا الدهرَ فى غير رِيبَـةٍ * خَلِيَّـانِ[1] نَرْعَى القَفـر مؤتلفان
اذا ما وَرَدْنا مَنْهَـلا صاح أهـلُه * وقالوا بَعِـيرا عُرَّةٍ[2] جَرِبَانِ
فـوالله ما حَدَّثْتُ سِرَّكَ صاحبـا * أخًا لى ولا فاهت به الشفتان
سوى أنى قـد قلت يوما لصاحبى * ضُحًى وقَـلُوصانا بنـا تَخِدان
ضُحَيًّا ومَسَّتْنا جَنـوبٌ ضعيفة * نَسِـيمٌ لرياها بنـا خفقان
تَحَمَّلْتَ زَفْـرَات الضحى فأطَقْتَها * ومالى بزَفْـرات العَشِىّ يَدَان
فيا عَمِّ لا أُسْقِيتَ من ذى قَرَابةٍ * بِلَالًا فقـد زَلَّت بك القَـدَمان
ومَنَّيْتَنى عفـراءَ حـتى رَجَوْتُهـا * وشـاع الذى مَنَّيْتَ كلَّ مكان
بُنَيَّـةُ عَمِّى حِيـلَ بينى و بينهـا * وصاح لوَشْـكِ الفَـرْقَدِ[3] الصُّرَدان

(١) بهامش الأصل : ويروى بعيران بدل قوله خليان . (٢) العرة : الجرب ، وقيل : قروح مثل القوباء تخرج بالابل متفرقة فى مشافرها وقوائمها يسيل منها مثل الماء الأصفر فتكوى الصحاح لئلا يعديها المريض . (٣) الصردان مثنى صرد وهو طائر أبقع ضخم الرأس يكون فى الشجر نصفه أبيض ونصفه أسود ضخم المنقار له رئن عظيم نحو من القارية فى العظم و يقال له الأخطب لاختلاف لونيه .

فيا حبَّذا مَنْ دونه يَعْـذُلونني ٭ ومَنْ حَلِيَتْ عيني به ولسـانى
ومَنْ لو أراه فى العَـدُوّ أتيتُـه ٭ ومَنْ لو يَرانى فى العـدُوّ أتانى
ومن هابنى فى كل أمر وَهِبْتُـه ٭ ولو كُنْتُ أمْضَى من شَبَاةِ سِنَانِ
فوالله لولا حُبُّ عَفْـراءَ ما التقى ٭ عَـلَىَّ رِوَاقَا بَيْتِـكَ الخَلَقَانِ
خَلِيقَانِ هَلْهَالانِ لا خير فيهما ٭ قبيحانِ يَجْرِى فيهما اليَرَقَانِ (١)
رِوَاقَانِ هَفَّـافَانِ لا خـير فيهـما ٭ اذا هَبَّتِ الأرواحُ يَصطَفِقَانِ
ولم أتْبَعِ الأظعانَ فى رَوْنَقِ الضحى ٭ ورَحْلى على نَهَّـاضَةِ الحَدَيَانِ
لِعَفْراء إذ فى الدَّهْرِ والنـاس غِرَّةٌ ٭ وإذ خُلُقَانا بالصِّبـا يَسَرَانِ
لأَدْنُو من بَيْضاء خَفَّاقَـةِ الحَشَـا ٭ بُنَيَّـةِ ذى قاذُورةٍ شَـنَآنِ
كأنَّ وِشاحَيْهـا اذا ما ارْتَدَتْهُما ٭ وقامَتْ عِنَانا مُهْـرةٍ سَاسَانِ
يَعَـضُّ بأبدانٍ لهـا مُلْتَقاهمـا ٭ ومَتْنَاهمـا رِخْـوانِ يضطربانِ
وتحتهـما حِقْفَانِ قـد ضَرَبَتْهُما ٭ قِطَارٌ من الجَوْزاء مُلْتَبِـدانِ
أعَفْـراءُ كم من زَفْرةٍ قـد أَذَقْتِنى ٭ وحُزْنٍ أَلَجَّ العَيْنَ بالهَمَـلانِ
وعَيْنانِ ما أوْفَيْتُ نَشْرا فتَنْظُرَا ٭ بمَأْقِيهِما إلَّا هما تَكِفَانِ
فلو أن عَيْنَىْ ذى هوى فاضَتَا دَمًا ٭ لفـاضَتْ دَماً عَيْنـاى تَبْتَـدِرانِ
فهل حادٍ يا عَفْراء ان خِفْتُ فَوْتَهـا ٭ عَـلَىَّ اذا نادَيْتُ مُرْعَوِيَانِ
ضَرُوبانِ للتـالى القَطُوف اذا وَنَى ٭ مُشِيحانِ من بَعْضائنـا حَـذِرانِ
فمـا لَكُما من حادِيَيْنِ رُمِيتُما ٭ بُجَمَّى وطاعـونٍ ألا تَقِفَـانِ
وما لكما من حادِيـين كُسِيتُما ٭ سَرَابِيـلَ مُغْـلاةً من القِطْرانِ
فَوَيْلِى عـلى عَفْـراء وَيْلًا كأنه ٭ على الكَبِدِ والأحشاء حَدُّ سِـنانِ
ألا حَبَّـذَا من حُبِّ عَفْراءَ مُلْتَقَى ٭ نَـعَمْ وألا لا حَيْثُ يَلْتَقِيانِ

(١) اليرقان : دود يكون فى الزرع ثم ينسلخ فيصير فراشا كما فى اللسان . وفى البيت الإقواء وهو اختلاف حركة الروى بالرفع والجر .

قال أبو بكر أخبرنى أبى عن الطُّوسى قال : أراد بقوله ملتقى نعم وألا لا شَفَتَيْها . لأن الكلمتين فى الشفتين تلتقيان . ويروى :

ألا حبذا من حب عفراء ملتقى ... نعـام وبرْئٍ حيث يلتقيان

وقال : هما موضعان

لو آن أشدَّ الناس وَجْدا ومثله ... من الجِنِّ بعـد الإنس يلتقيان
فيشتكيان الوجـد ثُمَّ أشتكى ... لأَضْعَف وَجْدى فَوْقَ ما يَجِدان
فقـد تَرَكَتْنِى ما أعِى لمحـدَّث ... حَدِيثا وإن ناجَيْتُهُ ونَجَانى
وقـد تركتْ عفراءُ قلبى كأنه ... جَنَاحُ غُرابٍ دائمُ الخَفَقَان

* * *

قال أبو على قال أبو العباس ثعلب : سُمِّيَت العَنَزة عَنَزة من قولهم : اعْتَنَزَ الرجلُ اذا تَنَحَّى ، وذلك أن الإمام يجعلها بين يديه اذا صلى ويقف دونها فتكون ناحيةً عنه . قال : وسميت الحَرْبة حَرْبة من قولهم : حَرَبْته اذا أحميته وأغضبته . لانها حادّة ماضية . والعِتْرة : أقرب أهل الرجل اليه ، ومنه عِتْرةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى من عَتْر الريح وهو حركتها واضطرابها . والعَتِيرة : الذبيحة التى كانت تُذْبَح فى الجاهلية فى رجب ، وهى من الحركة والاضطراب ، لان الرجل كان يَنْذِر اذا كَثُر ماله أن يَذْبَح منه . واذا كثر المـال انتشر ، والانتشار : الاضطراب . وسمى عَنْتَرة من ذلك لتَحَرُّكه فى الحرب وتَصَرُّفه وأخذه فى كل وَجْه وناحية .

وأنشد أبو العباس :

فإن تَشْرَب الأَرْطَى دَمًا من صديقنا ... فـلا بُدَّ أن تُسْـقى دِماءَكم النَّخْلُ

يقول : إن قتلتم صاحبنا فى هذا الموضع الذى يُنْبِت الأَرْطَى اهْتِبالًا لغَفْلته ووَحْدته ، فإنَّا لِعِزِّنا نقصدكم طالبين بثأره جهارا فى بلادكم وأوطانكم .

| تخطئة العامة فى قولهم فلان قرابة فلان والصواب قريب فلان |

قال وقول العامة : فلان قَرَابَة فلان مُحال ، إنما كلام العرب : هذا قَرِيب فلان . وهؤُلاء أقَارِبُ فلان وأَقْرِبَاؤه ، وقَرَابَاتٌ ليس بشىء .

قال وقول ذى الرمة :

كأنهن خَوافِى أجْدَلٍ قَرِمٍ ✲ وَلَّى لِيَسْبِقَه بالأَمْعَزِ الخَرَبِ

ترتيبه : كأن الخُمُر بالأمعز خوافى أجدل قرم، والخوافى مستوية، والقوادم ليست كذلك، فأراد أنه ليس يَفْضُل بعضُها بعضًا فى العَدْوِ لِحِدَّها ونجائها . وأنشد له أيضا :

نَظَـرْتُ إلى أظعان مَىٍّ كأنهـا ✲ ذُرَى النخل أو أَثْلٌ تميل ذوائبُه

فأَسْـبَلَتِ العينانِ والقلب كاتمٌ ✲ بمُغْرَوْرِقٍ نَمَّتْ عليـه سَوَاكِبُه

هَوَى آلِفٍ حان الفراقُ ولم تَجُلْ ✲ مَجَاوِلُهـا أسرارُه ومَعَايِبُـه

اذا راجَعَتْك القولَ مَيَّـةُ أو بدا ✲ لك الوجه منها أو نَضَا الدِّرْعَ سالبُه

فَيَالك مِنْ خَدٍّ أسِـيلٍ ومَنْطِق ✲ رَخِيمٍ ومِنْ وَجْهٍ تَعَـلَّل جادِبُه

تَعَلَّل : من العَلَل وهو الشُّرب مرة بعد مرة، أى نظر الناظرُ وأعاد نظرَه مرّة بعد مرة فلم يجد عيبا . وأشْعَلَت[1] الدموعُ : كَثُرت فتفرّقت . وكَتِيبة مُشْعِلة أى كثيرة متفرّقة . ويقال : أشْعَل السلطانُ جماعةً فى طلبه أى فَرَّقهم .

قال وأنشدنا ثعلب ليزيد بن الطَّثَرِية — وقال الطَّثْرة : الخِصْب وكثرة الخير — :

بنفسى من لايَسْتَقِلُّ بنفسـه ✲ ومَنْ هُوَ إن لم يَحْفَظِ اللهُ ضائع

قال ويقال : فلان سَرَاب بِقِيعَة أى لايُحْصَل منه على شىء . وشَرَّابٌ بأنْقُع أى حازم كامل .

قال : وسُمِّى اللِّصُّ لِصًّا لأنه يَجْمَع نفسَه ويُضَائل شخصَه ليستتر بذلك، وهو من قولهم : لَصِصَتْ أضراسُه اذا آجتمعت وتلاصقت . وقال امرؤ القيس يصف كلبا :

أَلَصُّ الضُّروس حَنِيُّ الضُّلُوع ✲ تَبُـوعُ[2] طُلُوبٌ نَشِـيطٌ أَشِرْ

قال ويقال : السَّفِينة من سَفَنْته اذا قَشَرته كأنها تَقْشر المـاء . والخُرَاقة : من قولهم هو يَخْرُق عليـه الأُرَم وهى الأضراس . والزُّلَال : من قولهم زَلَّ يَزِلُّ . والطَّيَّار من قولهم الطَّيَران . والمَلَّاح :

(١) من هنا أخذ المؤلف رحمه الله يأتى بما يسنح له من نوادر كلام العرب ولطائفهم ولا يقيد بأن تكون له مناسبة بما قبله، فان قوله هنا وأشعلت الدموع الخ لم يسبق له كلام فيه لفظ الإشعال، وكذلك ما أنشده ليزيد بن الطثرية لم يتعلق بشىء قبل ولا بعد ولم يشرح منه شيئا لظهور معناه، وكذلك قوله بعد : وسمى اللص لصا الخ، وقوله ويقال : السفينة من سفنته وهلم جرا، فاعلم .

(٢) فى رواية : أووب .

من المِلْح لشَظَف عيشه وخُشونة مَطْعَمه . والحَفَف : القيام بالأمر . حَفَّهم : قام بأمرهم . ورَفَّهم : أطعمهم . وهو يَحُفُّه ويَرُفُّه أى يطعمه ويقوم بأمره . فالحَفَف : أن يكون المأكل بإزاء آكله . والضَّفَف : أن يكون دونه . وضَفَّة الوادى والنهر : جانبا هما . فكأن الضفف ما يَكْفِى جانبًا من العيال والقوم ولا يَعُمُّهم . وأنشد لذى الرُّمة :

أذاكَ أم خاضِبٌ بالسِّىِّ مَرْتَعُه * أبو ثلاثين أمْسَى وهو مُنْقَلِب

قال : أبو ثلاثين أى أنه قد عَرَف ما يُصْلِح البَيْض ويُفْسِده بالتجربة ، فلما أحسّ بالمطر أَجَدَّ فى طلب أُدْحِيِّه . وخصَّ الذكَرَ لأنه أسرع من الأنثى . وقال : أمسى لِحدِّه فى اللحاق قبل الليل وهو منقلب ، لأنه قد رَعَى فَنَفْسه قَوِيَّة . والخاضِبُ : الذى قد خَضَب فى الربيع فهو أحسن لحاله . والنعام يبيض نحو العَشْر فما فوقها . فأراد بالثلاثين أنه قد حَضَن أبطنا .

وقال ثعلب فى قول ذى الرمة :

أرى إبِلى وكانت ذاتَ زَهْوٍ * اذا وَرَدَتْ يقال لها قَطِيع
تَكَنَّفها الأرامِلُ واليتامى * فَصَاعوها ومِثْلُهُمُ يَصُوع
وطَيَّب عن كرائمهنَّ نفسى * مَخَافةُ أن أرى حَسَبًا يَضِيع

أى يُزْهَى من يملك مثلها . والقَطِيع : ما كَثُر . وصاعوها : فَرَّقُوها أى أنه نَحَر وفَرَّق وأطعم . وانْصاع الطائرُ اذا مَرَّ . ويقال أيضا صاع : جَمَع ، ومنه الصاع . قال أبو الحسن : يروى غيره : ضاعوها معجمة الضاد .

قال : وأنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفرّاء :

من النَّفَر البِيض الذين اذا انْتَمَوْا * وهَابَ اللئامُ حَلْقَةَ الباب قَعْقَعُوا

البيض : السادة الذين لا عيب فيهم يُقْدِمون على أبواب الملوك بأحسابهم ومواضعهم وكِبَر أنفسهم وتَهابها اللئام لحمولهم وقِصَر هِمَمِهم .

قال ويقال : جاء نَعِىُّ فلان بالتشديد اذا رفع الصوت بذكر وفاته ، وأصله مِنْ نَعَى على الناقة حِمْلَها اذا رفعه عليها ، ومنه نَعَى عليه ذنوبه اذا ذَكَرها وأشاد بها . وقال أبو العباس فى قول ابن أحمر :

وبَعِيرُهم ساجٍ بِجِرَّته * لم يُؤْذه غَرْبٌ ولا نَفَر
فاذا تَجَرَّر شَقَّ بازلُه * واذا أصاخ فانه بَكِر

يريد أنهـم فى خَفْض وخِصْب وأَمْن وعزّ ، فأموالهم راعيـة ساكنة . ويقول : وجهه لطَرَاوته وَجْهُ بَكْرٍ ، وهو اذا بَدَتْ أسنانُه بازلٌ وذلك لحسن حاله . قال ويقال : قَارَه يَقُوره اذا خَتَله ، وهو يَقُور الوَحْشَ أى يَخْتِلها ليصيدها . ومنه قولهم : قَيَّرَه يُقَيِّره اذا خَتَله وخدَعه . ويقال : قَبَّح الله ثَفْرَها وهو كناية عن الفَـرْج أى قبح الله الموضعَ الذى خرجت منـه . قال : والثَّفِرة بالثاء المعجمة اثنتين الرَّوْضة ، والثَّفِراتُ : الرِّياض ، قال الطِّرِماح :

لها ثَفِراتٌ(١) تَحْتَها وقَصارُها * على مَشْرةٍ لم تَعْتَلِق بالمحاجن

يصف ظبية فى أَمْن . والمَشْرة — الهاء معجمة والميم مفتوحة — : الشجرة الكثيرة الورق . قال : والطرماح من طَرْمَحَ بابَه اذا رفعه أى هو رفيع القـدر . والطِّرْمِذَة : لفظة عربية ، والطِّرْماذ : الفَرَس الرائع الكريم . قال : وسألت ابنَ الأعرابى عن الطِّرْمِذان وهو المتكثِّر بما لا يفعل ، فقال : لا أعرفه وأعرف الطِّرْماذ ، وأنشدنى :

* سلام طِرْماذٍ على طِرْماذِ *

وأنشدنا أبو العباس لبعض المُحْدَثين : — هو أشجع السُّلَمى —

ليس للعسكر الا * من له وَجْـهٌ وَقَاح
ولسـانٌ طِرْمِـذانٌ * وغُـــدُوٌّ ورَوَاح
ولهم ما شئت عندى * وعـــلى الله النجاح

وقال فى قول الشاعر :

مخايِط العُكْم مَوَادِيع المَطِىّْ * التاركى الرفيق بالخَرْق النَّطِىّْ

(١) قال الصاغانى فى العباب ويقال : التفرة من النبات : ما لا تستمكن منه الراعية لصغره ، قال الطرماح يصف إبلا : وهو القطيع من البقر :

لها تفرات تحتها وقصارها * على مشرة لم تعتلق بالمحاجن

قصارها : آخر أمرها الذى ترجع اليه . والمشرة : أطراف الغصون الطرية ، كذا بهامش الأصل .

(٢) قال فى العباب وانشد الليث :

لما رأيت القوم فى إغذاذ * وأنه السـير الى بغـــداذ
جئت فسـلمت على معاذ * تسليم مَـلّاذ على مـــلّاذ
* طَرْمَذَةٌ منّى على طِرْماذ *

كذا بهامش الاصل . وفى القاموس : رجل طِرْمِذ بالكسر ومُطَرْمِذ : يقول ولا يفعل . أولا يحقق فى الأمور ، وطرمذ عليه فهو طِرْماذ : وطِرْمِذان بكسرهما : صلف مفاخر نفّاج . وفيه : الملاذ : المطرمذ المتصنع الذى لا تصح مودته ، والمَلَذ : الكذب .

أى لا يَحْمِلُون أزوادَهم ويأكلون أزواد النـاس ولا يرحلون الى الملوك . والخَرْق : الفلاة لانخراق الريح فيها . والمَطِىُّ : البعيد . ويقال فى مثل ذلك : «كيف يُقْطَعُ النَّطِىُّ بالبَطِىِّ» والنَّطِىُّ : البعيد . والبَطِىُّ : البعير المبطئ ، يضرب مثلا للذى يروم عظائم الأمور بغير ماجدٍّ ولا انكماش . قال أبو الحسن : حفظى عنه محايط بغير معجمة ، والشعر لجميل بن معمر . قال أبو العباس ويقال : أصير اليك فى غَدٍ أو الذى يَليه . وقولُ الناس : أو الذى أَلِيه خطأ ، وإنما لم يقفوا على حق الكلمة . ويقال خَبِيصة مُعْقَدة ، وأَعْقَدْت الخبيصةَ وغيرَها من الحلواء والدواء فهى مُعْقَدة ، وأَعْقَدْت العَسَل وعَقَدْت الحَبْل . قال أبو العباس : العَهْدة : أوّل مَطْرة . والرَّصْدة : الثانية ، فتلك أَوَّل ما عَهِدَت الأرضُ ، وهـذه تَرْصُد تلك . ويقال : نحن ننتظر الرَّصْدة .

قال : والنهار عند العرب : من طلوع الشمس الى غروبها ، وما عدا ذلك فهو عندهم ليـل مـا تقدّم[1] أو تأخر .

قال أبو العباس : والشاكلة : الطريقة ، والشاكلة : الناحية ، وشاكلة الجَدْى : خاصرتُه لأنها ناحية منه .

قال : ورِغْوة[2] اللَّبَن بكسر الراء أفصح من فتحها . قال والوَصِيدُ : الْفِنَاءُ .

وأنشد أبو العباس :

ولمـا قَضَيْنا من مِنًى كُلَّ حاجة * ومَسَّح بالأركان مَنْ هُو ماسِحُ
أخَذْنا بأطراف الأحاديث بيننا * وسالت بأعناق المَطِىِّ الأباطحُ

أطراف الأحاديث : ما يُسْتَطْرَف منها ويؤثر .

قال أبو العباس : جمع الحَلِىِّ وهو يَبِيس النَّصِىّ أحْلِية ، ولم يُسْمَع جمعُه[3] الا فى شعر ذى الرمة .

قال : والمُمَرَّد : الأملس ، ومنه الأمرد للين خَدَّيه ، وشجرة مَرْداء : لاورق لهـا ، ومرداء ومَلْساء واحد . ويقال زَلَلْت فى المَنْطِق ، وزَلِلْت فى المَشْى . وأَزْلَلْت له زَلَّة ، وأزللت اليه نِعْمة .

---

(١) فى نسخة : وما تقدم ذلك وتأخر عنه قليل . (٢) فى القاموس : أنهـا مثلثة الراء . (٣) لم نقف على الشعر الذى جمع فيه الحلى على أحلية وليتظر .

قال ويقال : أمْطَرَتِ السماءُ اذا قطَرَتْ . ومَطَرَت : سالت . ويقال : كَلَّمه فما أحاكَ فيه ، وضَربه فما أحاك فيه ، وما يُحِيك فيه شيء ، وهو أفصح من الفتح . وحَاكَ يَحِيك اذا ذهب وجاء ، ومنه الحائك . ويقال : حَذَق الحَلْيُ اللسانَ يَحْذِقه حُذُوقا ، وحَذَقَ الصبيُّ القرآنَ حَذْقا ، وحَذَق الحبلُ[1] اذا انقطع .

قال ويقال : رَدَحْت بَيْتَك اذا زدتَ فيه ووَسَّعْتَه ، ويقال : لو رَدَحْتَه أى لو وسَّعته .

قال والإفْصاء : الخروج من حر الى برد أو من برد الى حر ، ويقال : لَوْ قَدْ أفْضَيْتَ لخَرَجْتُ معك ، وقد أفْضَى الناسُ ، والناس حينئذ مُفْضُون ، ومنه التَّفَضِّى .

ويقال : أحْوَلْنا فى هذا المكان وأعْوَمْنا أيضا وأسْنَهْنا وأشْهَرْنا وأيْوَمْنا وأسْوَعْنا .

ويقال : أَطْلَى الرجلُ اذا مالت عُنُقه للنوم ، وأطْلَنا حتى أَطْلَيْنا أى قَعَدنا حتى نَعَسْنا . ومَنْ أطال أَطْلَى أى من قَعَد نَعَس .

ويقال : أخْلَدَ الى الأمر أى سَكَنَ اليه وأقام عليه . وخَلَدَ عليه شَبابُه أى بقى عليه شبابه وسوادُ شَعَره .

وَوَجَرْتُه : من الوَجُور وهو أفصح . ومن الرمح أوْجَرْتُه لاغير .

ويقال : أَشَطَّ فى سَوْمه أفصح من شَطَّ .

ويقال : ثَلَلْته : هَدَمْته ، وأثْلَلْته : أصلحته .

ويقال : لَحَدْتُ : مِلْت ، وألْحَدْتُ : جادَلْت .

ويقال : فَعَالٌ حَسَنٌ وفَعَالٌ جميلٌ بالفتح ، والكسرُ خطأ . ويكسر الفاء فى نصاب الفأس ، يقال : هذا فِعَالٌ قَوِىٌّ أى نِصَاب قوى .

والأحمس : المتشدّد فى دينه ، وسمِّيتْ قريشٌ الحُمْسَ من ذلك ، ومنه سمِّى المُحَمَّس الذى تقول له العامة : المُحَمَّص ، لأنه يُقْلَى قَلْيًا شديدا .

ويقال : لم يَبْقَ بينى وبينه عُلْقة ولا عَلاقة ، فالعُلْقة : المرة ، والعَلاقة : الحالة .

(١) كذا فى الأصل ، ولعل حذق محرف عن الحذق اذ ليس فى شىء من كتب اللغة التى بأيدينا أن حذق يأتى لازما ، بل اللازم الحذق أو لعله مبنى للمفعول .

| حديث الأصمعى مع بعض الجوارى و رجل ينشد ضالته |

قال أبو محلم وقال الأصمعى : بينا أنا فى طريق مكة ومعى أصحابى ، إذ مَرَّ بنا أعرابىّ وهو يقول : من أَحَسَّ من بعير بعنقه عِلَاطٌ وبأنفه خُزامة ، تَتْبَعه بَكْرَتانِ سَمْرَاوَانِ ، عَهْدُ العاهد به عند البئر؟ قلنا : حفِظَ الله عليك يا هذا ، والله ما أَحْسَسْنا جَمَلًا على هذه الصفة ، قال : وجُوَيْرِيَةٌ من الأعراب على حَوْض لها تَمُوره ، فأعاد الكلام عليها ، فقالت : اعْزُبْ لا حَفِظَ اللهُ عليك يافاسق ، فقلنا لها : ما تريدين من رجل يَنْشُد ضالَّتَه؟ فقالت : إنما ينشد أيْرَه وخُصْيَتَيْه .

| كتاب أبى محلم الى بعض الحذائين فى نعل له عنده |

قال وكَتَب أبو محلم الى الحَذَّاء فى نعل له عنده : دِنْها فاذا هَمَّتْ تأْتَدِنُ ، فلا تُحَلِّها تَمْرَخِدُّ ، وقبل أن تَقْفَعِلَّ ، فاذا ائْتَدَنَتْ فامْسَحْها بخِرْقةٍ غير وَكِبَة ولا جَشِبَة ، ثم امْعَسْها مَعْسًا رفيقا ، ثم سُنَّ شَفْرَتَك وأَمْهِها ، فاذا رأيت عليها مثل الهَبْوة فسُنَّ رأسَ الإزميل ، ثم سَمِّ بالله وصَلِّ على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أَنْحِها وكَوِّفْ جوانِبَها كَوْفًا رَفِيقا ، وأَقْبِلْها بقِبالَيْنِ أَخْنَسَيْنِ أَفْطَسَيْنِ غير خَلِطَيْنِ ولا أَصْمَعَيْنِ ، وليكونا وَثِيقَيْنِ من أَدِيمٍ صافى البشرة ، غير نَمِشٍ ولا حَلِمٍ ولا كَدِشٍ ، واجعل فى مُقَدَّمها كمِنْقار الثُّغَر . فلما وصل الكتاب الى الحذاء لم يفهم منه شيئا الا ولا كَدِش ، فقال : صَيَّرَنى كَدَّاشا ، والله لا حَذَوْت له نَعْلَه .

قال أبو على قوله : تأْتَدِنُ : تَبْتَلُّ ، يقال : وَدَنْتُ الشيء فهو مَوْدُون ووَدِينٌ أى بَلَلْته فهو مَبْلُول . والمَوْدُون من الناس وغيرهم : الفصير الضاوى القَمِيءُ . وقوله : تَمْرَخِدُّ[1] ، لم أجد تفسيره موضع رخد اذ جاء مهملا للخليل ولا لغيره . والوَكَب : الوَسَخ ، يقال : وَكِبَ الثوبُ يَوْكَب وَكَبًا اذا اتسخ ، والوَكَبَانُ بفتح الواو والكاف : مِشْية فى دَرَجان ، ومنها اسم المَوْكِب . والجَشِب : الغليظ ، والمِجْشاب : مثله . قال أبو زبيد .

* تُولِيكَ كَشْحًا لطيفا ليس مِجْشَابَا[2]

(١) قد وجدناه فى ترجمة مرخد من القاموس واللسان نقلا عن ابن سيده بلفظ امرخدّ الشيء اذا استرخى ، فليعلم .

(٢) صدره : * قراب حِضْنك لا بِكْر ولا نَصَف * كذا بهامش الأصل .

وطعام جَشِبٌ : ليس معه إدام . ويقال للرجل الذى لا يبالى ما أكل ولم ينـل أُدْما : إنه لَجَشِب المأكل ، وقد جَشُب جُشُوبة . والمَعْس : الدَّلْك ، يقال : مَعَسَ الأديمَ وغيره يَمْعَسُه مَعْسًا اذا دلكه ، ومعس الرجلُ المرأةَ يَمْعَسها اذا نكحها . وقال الراجز فى نعت السيل :

* يَمْعَس بالماء الحَوَاء معسا *

ويقال : اقْفَعَلَّتْ أنامله اذا تَشَنَّجتْ من بَرْد أو كِبَر ، قال الشاعر :

رأيت الفتى يَبْلَى اذا طال عُمْرُه * بِلَى الشَّنَ حَتَّى تَقْفَعِلَّ أنامـلُهْ

ويقال : أَمْهَيْتُ الحديدةَ إمهاء اذا حَدَدْتَها ، وأمْهَيْتُها اذا سَخَّنتَها بالنار ثم ألقيتَها فى الماء لتسقيها فهى مُمْهاة ، قال امرؤ القيس فى سهم الرامى :

راشَه من رِيشِ ناهضةٍ * ثُمَّ أَمْهاه على حَجَـرِهْ

وأَمْهَى شَرابَه ولَبَنَه اذا أرقَّه ، ولَبَنٌ مَهْوٌ وقد مَهُوَ اللَّبَنُ يَمْهُو مَهاوة . والإِزْمِيلُ : الإِشْفَى ، قال عَبْدة آبن الطَّبيب :

عَيْهَمَة يَنْتَحِى فى الأرض مَنْسِمُها * كما انْتَحَى فى أَديم الصَّرْف إِزْمِيلُ

ويقال : خرج فلان نَخَلَّف أَزْمَلَه وأَزْمَلَه بفتح الميم وضمها أى أهلَه . والإِزْمَوْلُ من الوعول : المُصَوِّت بكسر الهمزة وفتح الميم . ويقال : سَمِعْنا أَزْمَل القوم أى أصواتَهم ، وجمعه أزامِل ، قال هِمْيان آبن خُفَافة السَّعْدىّ :

تَسْمَع فى أجوافها لَجَالِجَا * أَزَامِلًا وزَجَلًا هُزَامِجَا

وكَوْفُها : دورها بعد ما تُنْحِيها ، أى تقصد نَحْوَ مثالها فى تدويرها . وقال يعقوب : يقال : تَرَكْتُهم فى كُوفان بضم الكاف وسكون الواو أى فى أمر مستدير . وقال آبن الأعرابى يقال : بنو فلان فى كَوَّفَانٍ مشدد الواو أى فى أمر مكروه شديد ، وهذا قريب من الأول ، كأنه لكراهيته تَحَيَّر أهلُه فهم يستديرون . وقال الكلابيون : الخلط من الرجال بفتح الخاء وكسر اللام بلا ياء هو الذى يختلط بالناس ، وهو فى وجهين : فأحدهما الذى يخالط الناس بما يُحِبُّون وهو مدح ، وأما الآخر فهو الذى يُلْقِى متاعه ونساءه بين الناس فيخالطهم وهو عيب ، فكأنه كره أن يكون قِبَالُ نعله مُلَفَّقًا من أديمين وذلك محمود فى نعال النساء مكروه فى حِذَاء الرجال . وقوله : ولا أَصْمَعَيْن أى رقيقين . غير نَمِش

(١) فى القاموس والخلط بالفتح وككتف وعتق : المختلط بالناس المتملق اليهم ومن باق نساءه ومتاعه بين الناس .

ولا حَلِم ولا كَدِش . والحَلَم بفتح الحاء واللام : دود يقع فى الجلد فيأكله ، فاذا دُبِغ وَهَى موضعُ الحَلَم ، فيقال : أديمٌ حَلِمٌ ونَغِلٌ ، وأديم نَمِشٌ أيضا ، ومن ذلك يقال : نَمَش الجرادُ والدَّبا الأرضَ يَنْمِشها نَمْشا اذا أكل الكلا ونزل . ويقال : ما به كَدْشَة بفتح الكاف وسكون الدال أى ما به داء ، والكَدَّاش بتشديد الدال : الكَرِىُّ ، والكَدْش بفتح الكاف وسكون الدال : الكَسْب ، يقال : كَدَش لأهله يَكْدِش كَدْشًا اذا اكتسب لهم ، وما كَدَشْتُ شيئا أى ما أخذته ، والكَدْش أيضا : السَّوْق والحَثّ .

قال أبو على قال أبو بكر بن أبى الأزهر أنشدنا أبو العباس المبرد لسعيد بن حميد :

تَمَتَّعْ من الدُّنيا فإنك فانى ... وإنَّك فى أَيْدِى الحوادث عانى

ولا يأتِيَنْ يومٌ عليك وليلةٌ ... فَتَحْلُوَ من شرب وعَزْفِ قِيان

فانى رأيت الدهر يلعب بالفتى ... ويَنْقُلُه حالين يَخْتَلِفان (١)

فأمَّا التى تَمْضِى فأحلام نائم ... وأما التى تَبْقَى لها فأمانى

[ماوصف به الحسن البصرى على بن أبى طالب رضى الله عنه]

قال أبو على قال أبو بكر حدثنى أبى عن العباس بن ميمون قال : سمعت ابن عائشة يقول حدثنى أبى عن عَوْف الأعرابى قال : سأل رجل الحسنَ البصرىّ عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال : أَعَنْ رَبَّانِىِّ هذه الأمة تسأل ؟ لم يكن بالسَّرُوقة لمال الله ، ولا بالمَلُولة لحق الله ، أَعْطَى القرآنَ عزائمَه فيما عليه وله ، حتى أورده الله على رياضٍ مُونِقة ، وجِنانٍ غَسِقة ، ذاك على بن أبى طالب يالُكَع .

قال وحدثنى أبى عن العباس بن ميمون قال حدثنى سليمان الشاذكونى والحسن بن عَنْبَسة الوَرَّاق قال حدثنا حَفْص بن غِيَاث عن أشعث بن سَوَّار قال : نال عَدِىُّ بن أَرْطاةَ على المنبر من على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، قال : فالتفتُّ الى الحسن وإن دموعه لتسيل على خدّه ولحيته ، فقال : لقد ذكر هذا اليوم رجلا إنَّه لَوَلِىُّ رسول الله فى الدنيا ووليه فى الآخرة .

قال وحدثنى أبو بكر عن أبيه عن العباس بن ميمون قال حدثنى سليمان بن داود عن حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال : ان كان أحد يَعْلَمُ مَتَى أجلُه ، فان على بن أبى طالب

(١) فى نسخة : وتنقله حالان مختلفان .

كان يعلم متى أجله ، قال العباس : فحدثت به ابن عائشة ، فقال : أنت تعلم يابن أخى أنه قاتل يوم الجمل فلم يتكلم ، ويوم صفين فلم يتكلم ، ولقد لقى ليلة الهرير مالقى فلم يتخوف ولم ينطق بشىء ، فلما رجع الى الكوفة بعد قتله الخوارج قال : ألا ينبعث أشقاها ليخضبن هذه من هذه .

[جواب على بن أبى طالب رضى الله عنه لمن سأله عن الإيمان]

قال : وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو جعفر محمد بن عثمان قال حدثنا منجاب بن الحارث قال أخبرنا بشر بن عمارة عن محمد بن سوقة قال : أتى عليا رضى الله تعالى عنه رجل فقال : ياأمير المؤمنين ، ما الإيمان ؟ أو قال : كيف الإيمان ؟ فقال : الإيمان على أربع دعائم : على الصبر ، واليقين ، والعدل ، والجهاد . والصبر على أربع شعب : على الشوق ، والشفق ، والزهادة ، والترقب . فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات . واليقين على أربع شعب : على تبصرة الفطنة ، وتأويل الحكمة ، وموعظة العبرة ، وسنة الأولين . فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة ، ومن تأول الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة فكأنما كان فى الأولين . والعدل على أربع شعب : على غامض الفهم ، وزهرة الحلم ، وروضة العلم ، وشرائع الحكم . فمن فهم فسر جميع العلم ، ومن علم عرف شرائع الحكم ، ومن حلم لم يفرط أمره وعاش فى الناس . والجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والصدق فى المواطن ، وشنآن الفاسقين . فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق ، ومن صدق فى المواطن فقد قضى الذى عليه ، ومن شنئ الفاسقين فقد غضب لله ، ومن غضب لله غضب الله له . قال : فقام الرجل فقبل رأسه ، فقال على كرم الله وجهه : أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما .

[وفاة الحجاج بن يوسف الثقفى وما وقع بينه وبين يعلى بن مخلد المجاشعى]

قال وحدثنى أبو بكر قال حدثنى أبى قال حدثنا أحمد بن عبيد فى أخبار الحجاج بن يوسف : أنه لما حضرته الوفاة وأيقن بالموت ، قال : أسندونى ، وأذن للناس فدخلوا عليه ، فذكر الموت وكربه ، واللحد ووحشته ، والدنيا وزوالها ، والآخرة وأهوالها ، وكثرة ذنوبه ، وأنشأ يقول(١) :

(١) كذا بالأصل ، ولا محل للتوكيد بالنون الا أن تكون اللام للقسم .

إن ذنبي وَزْنُ السَّمٰوات والأر * ض وظَنِّي بخالقي أن يُحَابِي
فلئن مَنَّ بالرضا فهو ظنِّي * ولئن مَرَّ بالكتاب عذابي
لم يكن ذاك منه ظُلْما وهل يَظْـ * ـلِمُ ربٌّ يُرْجَى لِحُسْن المآب (١)

ثم بكى وبكى جلساؤه ، ثم أمر الكاتبَ أن يكتب الى الوليد بن عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فقد كنتُ أرْعَى غَنَمَك أحُوطُها حِياطةَ الناصح الشَّفِيق برَعِيَّة مولاه ، فجاء الأسدُ فبَطَش بالراعي ومزَّقَ المَرْعِيَّ كُلَّ مُمَزَّق ، وقد نَزَلَ بمولاك ما نزل بأيُّوبَ الصابر ، وأرجو أن يكون الجَبَّار أراد بعبده غُفْرَانًا لخطاياه وتكفيرا لما حَمَل من ذنوبه ، ثم كتب فى آخر الكتاب :

اذا ما لَقِيتُ الله عَنِّي راضِـيًا * فانَّ شِـفاء النفس فيما هُنَالِك
فَحَسْبِي بقاءُ الله من كلِّ مَيِّتٍ * وحسبي حَياةُ الله من كل هالك
لقد ذاق هذا الموتَ مَنْ كان قبلنا * ونحن نذوق الموتَ من بَعْدِ ذلك
فان مُتُّ فاذْكُرْنِي بذكر مُحَبَّب * فقد كان جَمًّا فى رِضاك مَسَالِكِي
وإلا فَفِي دُبُرِ الصلاة بدعوة * يُلَقَّى بها المسجونُ فى نار مالك
عليك سلام الله حَيًّا ومَيِّتًا * ومن بَعْدِ ما تُحْيَا عتيقا لمالك

ثم دخل عليه أبو المُنْذِر يَعْلَى بن مَخْلَد المُجَاشِعِيّ وقال : كيف تَرَى ما بك يا حجاج من غَمَرات الموت وسَكَرَاته ؟ فقال : يايعلى ، غَمًّا شديدا ، وجَهْدًا جَهِيدا ، وألَمًا مَضِيضا ، ونَزْعا جَرِيضا ، وسَفَرا طويلا ، وزادا قليلا ، فَوَيْلِي وويلي إن لم يرحمنى الجَبَّار . فقال له : ياحجاج ، إنما يرحمُ الله من عباده الرُّحَمَاءَ الكُرَمَاءَ أولى الرحمة والرأفة والتَّحَنُّن والتعطُّف على عباده وخلقه ، أشهد أنك قَرِينُ فرعون وهامانَ لسُوء سيرتك ، وتَرْك ملَّتك ، وتَنَكُّبك عن قَصْدِ الحق وسَنَن المَحَجَّة وآثار الصالحين . قَتَلْتَ صالحى الناس فأفنيتهم ، وأَبَرْتَ (٢) عِتْرَةَ التابعين فتبرتَهم ، وأطَعْتَ المخلوقَ فى معصية الخالق ، وهَرَقْتَ الدماءَ ، وضَرَبْتَ الأبشار ، وهتكْتَ الأستار ، وسُسْتَ سياسةَ متكبِّر جَبَّار ، لا الذِّينَ أبْقَيْتَ ، ولا الدنيا أدركت ، أعْزَزْتَ بنى مَرْوان ، وأذْلَلْتَ نفسك ، وعَمَرْتَ دُورَهم وأخربتَ دارَك ، فاليوم لا يُنْجُونك

(١) فى رواية : لوم الحساب بدل قوله لحسن المآب .
(٢) أبرت : أهلكت وهو من أبرت الكلب إذا أطعمته الإبرة فى الحبر .

ولا يُغيثُونك، اذ لم يكن لك فى هـذا اليوم ولا لما بعده نَظر، لقد كُنْتَ لهذه الأمة اهتماما واغتماما وعناء وبلاء، فالحمد لله الذى أراحها بموتك. وأعطاها مُناها بخزيك. قال: فكأنما قطع لسانه عنه فلم يُحِرْ جواباً وتنفَّس الصُّعَداء وخَنَقَتْه العَبْرة، ثم رفع رأسه فنظر اليه وأنشأ يقول:

رَبِّ إن العبادَ قـد أيْأَسُونى * ورَجائى لك الغَـداةَ عَظِيمُ

| صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التى كان علىّ رضى الله عنه يعلّمها أصحابه |

قال وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدّثنا الحسن بن خضر عن أبيـه عن بعض ولد على رضى الله تعالى عنه قال: كان علىٌّ يُعَلِّم أصحابَه الصلاةَ على النبى صلى الله عليه وسلم ويقول: اللهـم داحِيَ المَدْحُوَّات، وبارئَ المسموكات، وجبَّار القلوب على فِطْرتها، شَقِيِّها وسَعِيدها، اجعل شَرَائف صَلَواتك ونَوامِيَ بَرَكاتك، ورَأْفَة تَحَنُّنِك على محمـد عبدك ورسولك، الخاتم لما سَبَق، والفاتح لما أُغْلِق، والمُعْلِن الحَقَّ بالحَقّ، والدَّامِـغ لجَيْشات الأباطيل كما حُمِّل، فاضْطَلَع بأمرك بطاعتـك، مُسْتَوْفزا فى مَرْضاتك، بغير نَكَل فى قَدَم، ولا وَهْي فى عَزْم، واعياً لوَحْيك، حافظا لعَهْدك، ماضِياً على نَفاذ أمرك، حَتَّى أَوْرَى قَبَسا لقابِس، آلاءُ الله تَصِلُ بأهله أَسْبابَه، به هُدِيَت القلوبُ بعـد خَوْضات الفِتَن، ووَضَحَتْ أعلامُ الإسلام ومُنيرات الأحكام، فهو أمينُك المأمون، وخازنُ عِلْمِك المخزون، وشَهِيدُك يومَ الدين، وبَعِيثُك نعْمَه، ورَسُولُك بالحق رَحْمَه، اللهم افْسَحْ له فى عَدْنِك مُنْفَسحا، وآجْزِه مُضَاعَفاتِ الخير من فَضْلك، مُهَنَّآتٍ غيرَ مُكَدَّرات، مِنْ فَوْزِ ثَوَابِك المَحْلول، وجَزِيل عطائك المَعْلول. اللَّهـم أَعْلِ على بناء الناس بناءه، وأَكْرِمْ لَدَيْك مَثْواه، وأَتْمِمْ له نوره، وآجزه من ابْتِعاثك له، مَقْبولَ الشهادة، ومَرْضِيَّ المقالة، ذا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وخُطَّةِ فَصْل، وبُرْهانٍ عظيم.

| معنى قوله صلى الله عليه وسلم "لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن" |

قال وحدّثنا أبو عمر قال أخبرنا الغَطَفانىّ عن رجاله قال: سئل أبو عبد الله جعفر بن محمد بن على رضى الله عنهم عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يَزْنِى الزانى حين يزنى وهو مؤمن". قال: فأدار دارةً كبيرة، وأدار فى وَسَطها دارة صغيرة، وقال: الكبيرة هى الإسـلام والصغيرة هى الايمان، فاذا زنى خرج فى ذلك الوقت من الإيمان الى الإسلام فان كفر خرج من الدارة الكبيرة الى الشرك والكفر والعياذُ بالله.

[حديث على رضى الله عنه أشد جنود ربك عشرة]

وقرأنا على أبى الحسن قال قال أبو محلم حدثنى وكيع بن الجراح وأبو نعيم قالا حدثنا زكريا بن أبى زائدة عن الشعبىّ قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : أشدُّ جنودِ ربِّك عَشَرةٌ : الجبالُ الرَّواسى، والحَديد يَقْطَع الجبالَ، والنارُ تُذيب الحديدَ، والماءُ يطفئ النارَ، والسحابُ المسخَّر بين السماء والأرض يَحْمل الماء، والريحُ تقطع السحابَ، وابنُ آدم يَغْلِبُ الريح يستتر بالثوب أو الشىء ويمضى لحاجته، والسُّكْرُ يغلب ابن آدم، والنومُ يغلب السكرَ، والهمُّ يغلب النومَ . فأشدُّ خلق الله عز وجل الهمُّ .

[حديث الشجاء الخارجية مع زياد بن أبيه]

قال أبو محلم : أخبرنى معتمر بن سليمان التيمى قال : لما جىء بالشَّجَّاء — وكانت امرأة من الخوارج — الى زياد، قال لها : ما تقولين فى أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه؟ قالت : ما ذا أقول فى رجل أنت خَطِيئةٌ من خطاياه! فقال بعض جلسائه : أيُّها الأمير، أَحْرِقْها بالنار، وقال بعضهم : اقطع يديها ورجليها، وقال بعضهم : اكْمُلْ عينيها . فَضَحِكتْ حتى استلْقَتْ وقالت : عليكم لعنة الله! فقال لها زياد : مِمَّ تضحكين؟ قالت : كان جلساء فرعون خيرا من هؤلاء . قال لها : ولم؟ قالت : استشارهم فى موسى فقالوا أَرْجِهْ وأخاه، وهولاء يقولون : اقطع يديها ورجليها واقتلها ، فَضَحِك منها وخَلَّى سبيلَها .

* * *

قال وقال حدثنا أبو محلم قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال قال الحجاج بن يوسف لعلى بن الحسين رضى الله عنهما : أنتم كنتم أكرمَ عند شيخكم من آل الزُّبَيْر عند شيخهم، قال عمرو : وذاك أنه لم يَشْهَد الطَّفَّ أحدٌ من بنى هاشم أطاقت يدُه حَمْلَ حديدة الا قُتِل قَتْلَ الحُسَين، وقَتَلَ الحَجَّاجُ عبدَ الله بن الزبير وطاف من العَشِىِّ بين عَبَّاد وعامر ابنى عبد الله واضعا يديه عليهما .

قال أبو على : وحدثنا أبو الحسن جَحْظة قال قال الشَّعْبىّ : ما لَقِينَا مِنْ عَلِىٍّ رضى الله عنه ! إن أحببناه قُتِلْنَا، وإن أبغضناه كفَرنا! .

قال وحدثنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال حدثنا الزبير قال أخبرنا ابن ميمون عن ابن مالك قال قال ابن هَرْمة :

مَهْمَا أُلام عـلى حُبِّهـم * فانّى أُحِبُّ بَنِي فاطـمه
بَنِي بِنْتِ مَنْ جاء بالمُحكما * ت والدِّين والسُّنَنِ القائمه

فلقيـه بعد ذلك رجل فسأله : من قائلُها ؟ فقال : من عَضَّ بِبَظْرِ أُمِّه ، فقال له ابنـه : يا أبتِ ، أَلَسْتَ قائلَها ؟ قال : بَلَى ، قال : فَلِمَ تشتُم نفسك ؟ قال : أليس الرجلُ يَعَضُّ بظرَ أمه خيرا له من أن يأخذه ابن قَحْطَبَة .

| ما وقع بين معاوية وأهل المدينة لما أراد البيعة ليزيد |

قال : وأخبرنا محمـد بن أبى الازهر قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا أبو زيد عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنا سـعيد بن عامر الضبعى عن جويرية بن أسماء قال : لمـا أراد معاويةُ البَيْعَةَ ليزيدَ ولده ، كتب الى مَرْوانَ وهو عامله على المدينة ، فقرأ كتابه وقال : إنأمير المؤمنين قد كَبِرَ سِنُّه ودَقَّ عَظْمُه ، وقد خاف أن يأتيه أمرُ الله تعالى فَيَدَع الناسَ كالغنم لاراعى لها ، وقد أحب أن يُعْلِم عَلَماً ويُقيم إماما . فقالوا : وَفَّق اللهُ أميرَ المؤمنين وسَدَّده ليفعل . فكتب بذلك الى معاوية ، فكتب اليه : أن سَمِّ يزيدَ . قال : فقرأ الكتاب عليهم وسمى يزيد ، فقام عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما فقال : كَذَبْتَ والله يا مروان وكَذَب معاويةُ معك ! لايكون ذلك ! لاتُحْدِثوا علينا سُنَّة الروم ! كلما مات هِرَقْلٌ قام مكانه هِرَقْل فقال مروان : إن هذا الذى قال لوالديْه : أُفٍّ لَكُما أَتَعِدَانِنِي أن أُخْرَج ، قال : فسمعتْ ذلك عائشةُ رضى الله تعالى عنها فقالت : أَلِابْنِ الصِّدّيق يقول هذا ! اسْتُرُونى ، فستروها فقالت : كَذَبْتَ والله يامروان ، إنَّ ذلك لَرَجُلٌ معروف نَسَبُه . قال : فكتب بذلك مروانُ الى معاوية ، فأقبل ، فلما دنا من المدينة استقبله أهلها فيهم عبدُ الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن على وعبد الرحمن بن أبى بكر رضوان الله عليهم أجمعين ، فأقبل على عبدِ الرحمن بن أبى بكر فَسَبَّه وقال : لامَرْحَبًا بك ولا أهلا ، فلما دخل الحسين عليه قال لامرحبا بك ولا أهلا ، بَدَنَةٌ يترقرقُ دَمُها والله مُهَرِيقُه . فلما دخل آبن الزبير قال : لا مرحبا بك ولا أهلا ، ضَبٌّ تَلْعـةٍ مُدْخِلٌ رأسه تحت ذَنَبه . فلمـا دخل عبد الله بن عمر قال : لا مرحبا بك ولا أهلا وسبَّه ، فقال : إنى لست بأهل لهذه المقالة ، قال : بلى ولمـا هو شرٌّ منها . قال : فدخل معاوية المدينـةَ وأقام بها ، وخرج هؤلاء الرهطُ معتمرين ، فلما كان وقتُ الحج خرج معاوية حاجًّا ، فأقبل بعضُهم على بعض ، فقالوا : لَعَلَّه قد نَدِم ، فأقبلوا يستقبلونه . قال : فلما دخل

لابن عمر قال : مرحبا بك وأهلا يابنَ الفاروق . هاتوا لأبى عبـد الرحمن دابَّة . وقال لابن أبى بكر : مرحبا بابن الصِّدِّيق . هاتوا له دابة . وقال لابن الزُّبَير : مرحبا بابن حَوَارىّ رسول الله ، هاتوا له دابة . وقال للحسين : مرحبا بابن رسول الله ، هاتوا له دابة . وجعلتْ ألطافُه تَدْخُل عليهم ظاهرةً يراها الناس ويُحْسِن إليهم وشفاعَتهم . قال : ثم أرسل اليهـم فقال بعضُهم لبعض : مَنْ يُكَلِّمُه ؟ فأقبلوا على الحسين فأَبَى ، فقالوا لابن الزبير : هات فأنت صاحبُنا . قال : على أن تعطونى عهدَ الله ألّا أقولَ شيئا إلّا تابعتمونى عليـه . قال : فأخذ عهودَهم رَجُلًا رجلا ورَضِىَ من ابن عمر بدون ما رضى به من صاحبيه . قال : فدخلوا عليه ، فدعاهم الى بَيْعَة يزيدَ ، فسكتوا . فقال : أجيبونى ، فسكتوا . فقال : أجيبونى ، فسكتوا . فقال لابن الزبير : هات فأنت صاحبهم . قال : اخْتَرْ منَّا خَصْلةً من ثلاث . قال : إن فى ثلاث لَمَخْرَجا . قال : إما أن تفعل كما فعل رسول الله صلىّ الله عليه وسلم . قال : ماذا فعل؟ قال : لم يستخلف أحدا . قال : وماذا؟ قال : أو تفعل كما فعل أبو بكر . قال : فعل ماذا ؟ قال : نظر الى رجل من عُرْض قريش فَوَلَّاه . قال : وماذا ؟ قال : أو تفعل كما فعـل عمر بن الخطاب . قال : فعل ماذا ؟ قال : جعلها شُـورَى فى ستة من قريش . قال : ألا تسمعون ! إنّى قد عَوَّدْتُكم على نفسى عادةً و إنى أكره أن أمنعكموها قبل أن أبيِّن لكم ، إن كنت لا أزال أتكلم بالكلام فتعترضـون علىّ فيه وتردّون علىّ ، و إنّى قائم فقائل مقالة ، فإياكم أن تعترضوا حتى أُتِمَّها ، فإن صَدَقْتُ فَعَلىّ صدق ، و إن كذبت فعلى كذبى ، والله لا ينطق أحد منكم فى مقالتى إلا ضربت عنقه . ثم وَكَّل بكلّ رجل من القوم رجلين يَحْفَظانه لئـلا يتكلم ، وقام خطيبا فقال : إن عبد الله بن عمر وعبدالله بن الزبير والحسين بن على وعبدالرحمن بن أبى بكر قد بايَعُوا فبايِعُوا . فانْجَفَل الناسُ عليه يبايعونه ، حتى اذا فرغ من البيعة ركب نجائبَه فَرمَى الى الشام وتركهم . فأقبل الناس على الرهط يلومونهم ، فقالوا : والله ما بايَعْنا ، ولكن فَعَلَ بنا وفَعَل .

* * *

وحدّثنا اسحاق قال : كان أَشْعَب اذا حَدَّث عن عبـد الله بن عمر يقول : قال حبيبى عبد الله ، وكان يُبْغضنى فى الله . قال اسحاق قال ابن أبى عتيق رضى الله تعالى عنهما : دخلت على أشعبَ يوما وعنده متاع حسن وأثاث . فقلت : أما تستحى أن تطلب من الناس وعندك مثل هذا ؟ فقال :

يافَدَيْتُك مَعِي مِنْ لُطْف المسئلة ما لا تَطِيبُ نفسى بتركه . وكان يقول : أنا أَطْمَع وأُمِّى تَتَيَقَّن، فاذا اجتمع طَمَعى ويَقِينُ أمِّى فقَلَّ ما يُفْلِتُنا .

[المجلس الأوّل : مطلب ما دار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وعامر بن جوين الطائى لما وفد عليه]

مجلس : أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن الكَلْبِىّ عن أبيه . قال : وَفَد عامر بن جُوَيْنٍ الطائى على المنذر بن النعمان الأكبر جدّ النعمان بن المنذر، وذلك بعد انقضاء مُلْك كِنْدَةَ ورجوع الملك الى لَخْم . وكان عامر قد أجار امرأ القيس بن حُجْر أيام كان مقيما بالجبلين وقال كلمته التى يقول فيها :

هنالِكَ[1] لا أُعْطِى مليكا ظُلامةً * ولا سُوقةً حتى يَئُوبَ ابْنُ مَنْدَلَهْ

وكان المنذر ضَغِنًا عليه ، فلما دخل عليه قال له : ياعام ، لَساء مَثْوًى أَثْوَيْتَه رَبَّك وثَوِيَّك حين حاولْتَ إصباءَ طَلَّتِه ومخالَفَتَه الى عَشِيره ، أَمَا والله لو كنتَ كريما لاثْوَيْتَه مُكَرَّمًا مُوَقَّرا ولَجَانَبْته مُسَلَّما . فقال له : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، لقد عَلِمتْ أبناءُ أُدَدَ إنّى لأَعَزُّها جارا ، وأكرَمُها جوارا ، وأَمْنَعُها دارا ، ولقد أقام وافرا ، وزال شاكرا . فقال له المنذر : ياعام ، وإنك لتَخَالُ هُضَيْبات أَجَأ ذاتَ الوِبَار ، وأَفْنِيات سَلْمَى ذات الأَغْفار ، مانِعاتك من المَجْر الجَرَّار ، ذى العَدَد الكُثَّار ، والحُصْن والمِهَار ، والرِّماح الخِرَار ، وكلِّ ماضى الغِرَار ، بِيَدِ كلِّ مِسْعَرٍ كَرِيم النِّجَار . قال له عامر : أبيت اللعن ، إنَّ بين تلك الهُضَيْبات والرِّعان ، والشِّعاب والمُصْدَان ، لَفِتْيانا أبطالا ، وكهولًا أزوالا ، يَضْربون القَوانِس ، ويستنزلون الفوارس ، بالرِّماح المَداعِس ، لم يَتْبَعوا الرِّعاء ، ولم تُرَشِّحْهم الإماء . فقال الملك : ياعام ، لو قد تَجَاوَبَت الخيلُ فى تلك الشِّعَاب صَهِيلا ، وكانت الأصوات قَعْقَعةً وصَلِيلا ، وفَغَرَ المَوْت ، وأَعْجَز الفوت ، فَتَقَارَشَتِ الرِّماح ، وحَمِىَ السِّلاح ، لَتَساقَ قَوْمُك كأسا لا صَحْوَ بعدها . فقال : مَهْلا أبيت اللعن ، إن شَرَابَنا وَبِيل ، وحَدَّنا أَلِيل ، ومَعْجَمَنا صَلِيب ، ولقاءَنا مَهِيب ، فقال له : ياعام ، إنّه لقليلٌ بَقاء الصَّخْرة الصَّراء على وَقْع المَلاطِيس . فقال : أبيت اللعن ، إن صَفَاتَنا عِبْرُ المَراديس . فقال : لأُوقِظَنَّ قَوْمَك من سِنَة الغَفْلة ، ثم لَأُعْقِبَنَّهم بعدها رَقْدةً لا يَهُبُّ راقِدُها ، ولا يَسْتَيْقِظ هاجِدُها . فقال له عامر : إن البَغْىَ أبادَ عَمْرا ، وصَرَع حُجْرا ، وكان أعزَّ منك سلطانا ، وأعظم شانا ، وإن لَفِيَتَنا

(١) الذى فى مادة ندل من اللسان وآليت لا أعطى مليكا مَقَادتى * ولا سُوقة حتى يئوب ابن مندله

لم تلق أنكاسا ولا أغناسا. فهيئ وضائعك وصنائعك وقلّم أظفارك فنحن الأُلى قسطوا على الأملاك قبلك. ثم أتى راحلته فركبها وأنشأ يقول هذه الأبيات :

تعلّمْ أبيتَ اللعنَ أنّ قناتنا * تزيدُ على عُمْرِ الثقافِ تصعّبا
أتوعدُنا بالحربِ أنّكَ هابلٌ * رُوَيْدَكَ يَرْقًا لا أبا لكَ خُلَّبا
اذا خطرتْ دُونِي جديلةُ بالقنا * وحامتْ رجالُ الغوثِ دونِي تحدّبا
أبيتُ التي تهوى وأعطيتُك التي * تَسُوقُ اليك الموتَ أخرجَ أكهبا
فإن شئتَ أن تزدارنا فأتِ تعترِفْ * رجالا يذيلون الحديدَ المعقّبا
وإنك لو أبصرتَهم في مجالهم * رأيتَ لهم جمعًا كثيفًا وكوكبا
وذكّرك العيشَ الرخيَّ جلادُهم * ومأبًى بأكناف السديرِ ومشربا
فأغضِ على غيظٍ ولا ترمِ التي * تُحكّمُ فيكَ الزاعيَّ المحرّبا

| ما دار بين متمم بن نويرة وعمر رضي الله عنه ورثاء متمم له بعد وفاته |

قال أبو علي وأخبرنا أبو عثمان قال أخبرني التوزي عن أبي عُبيدة قال: قدم مُتمّم بن نُوَيْرة على عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما وكان به مُعْجَبا: فقال يامتمّم، ما يَمْنَعُك من التزويج لَعَلَّ الله أن يَنْشُرَ منك ولدا، فانكم أهل بَيْتٍ قد دَرَجْتُم، فتزوّجَ امرأة من أهل المدينة فلم تَحْظَ عنده ولم يَحْظَ عندها، فطلّقها ثم قال :

أقول لهند حينَ لم أرضَ عقلَها * أهذا دلالُ العشقِ أم أنتِ فارِكُ
أم الصّرْمُ ما تَهْوَى فكلُّ مفارقٍ * عَلَيَّ يسيرٌ بعد ما بانَ مالك

فقال له عمر : ما تنفكُّ تذكر مالكا على كل حال، فلم يمض لهذا الأمر إلا قليل حتى طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورحمه، ومتمم بالمدينة . فقال يرثي عمرَ رضي الله عنه :

يَسْأَلُنِي ابنُ بُجَيْرٍ أين أبكُرُه * عَنِّي فانّ فؤادي عنك مشغول
هَلَّا بيوم أبي حَفْصٍ ومَصْرَعِه * إن بُغَاءك ما ضَيَّعتَ تضليل
إنَّ الرَّزِيئةَ فابْكِه ولا تَسَمَنْ * عِبْءٌ تُطِيف به الأنصار محمول

* * *

قال أبو علي وأخبرنا أبو عثمان قال أخبرني التوزي عن أبي عبيدة قال كان مُرَّة بنُ مَحْكَان جَوادا، — قال أبو بكر بن دريد أحسبه عَنْبَرِيًّا — تَحَمَّل حَمالاتٍ فعجز عنها، فحبسه عبيدُ الله بن زياد، فقال الأَبَيْرِد في ذلك :

أَبْلِغ عُبَيْدَ الله عني رِسالةً * رسالة قاضٍ بالفرائض عالم
فان أنت عاقبتَ ابْنَ مَحْكَانَ في النَّدى * فَعاقِبْ هداك الله أعْظَمَ حاتم
حَبَسْتَ كريما أن يَجُود بماله * سَعَى في ثَأًى في قومه مُتَفاقِم
كأنَّ دماءَ القوم اذ عَلِقَتْ به * على مُكْفَهِرٍّ من ثَنايا المَخارِم

[خبر الشيظم الغساني ونزوله بملك الشام مستجيرا]

قال أبو بكر أخبرني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال : قَتَلَ الشَّيْظَمُ بن الحارث الغَسَّاني رَجُلًا من قومه، وكان المقتول ذا أُسْرة، فخافهم فَلَحِق بالعراق أو قال بالحِيرة مُتَنَكِّرًا، وكان من أهل بيت المُلْك، فكان يَتَكَفَّف الناسَ نهارَه ويأوي الى خَرِبةٍ من خَرِب الحيرة، فبينا هو ذات يوم في تَطْوافه اذ سمع قائلا يقول :

لَحَى اللهُ صُعْلُوكا اذا نال مَذْقَةً * تَوَسَّد إحدى ساعِدَيْه فَهَوَّما
مقيما بدار الهُون غير مُنَاكِر * اذا ضِيمَ أغْضَى جَفْنَه ثم برْشَما
يَلُوذ بأَذْراء المَثَارِيب طامعا * يَرَى المَنْعَ والتَّعْبِيسَ من حَيْثُ يَمَّما
يَضَنُّ بنفسٍ كَدَّرَ البُؤْسُ عَيْشَها * وجُودٌ بها لو صانها كان أَحْزَما
فذاك الذي إن عاش عاش بذِلَّةٍ * وان مات لم يَشْهَد له الناسُ مَأْتَما
بأَرْضِك فاعْرُكْ جِلْدَ جَنْبِك إنني * رأيتُ غَرِيبَ القوم لَحْمًا مُوَضَّما

فكأنه نَبَّهه من رَقْدة، فأقبل على صاحب خيل المنذر فأقام عنده أياما وقال له : إني رجل من أهل خيبر أقبلت الى هذه البلدة بتجارة فأصَبْتُ بها، ولي بَصَرٌ بسياسة الخيل فاصْطَنِعْني، فَضَمَّه الى بعض أصحابه حتى وافق غِرَّةً من القوم، فركب فرسا جوادا من خيل المنذر وخرج من الحِيرة يَتَعَسَّف الأرضَ

حتى نزل بحَيٍّ من بَهْـراءَ فأخبرهم بشأنه ، فأعطوْه زادا و رمحا وسيفا وخرج حتى أتى الشأمَ فصادف الملكَ مُتبَدِّيا ، وكان اذا تَبدَّى لا يُحْجب أحد عنه ، فأتى قُبَّةَ الملك فقام قريبا منه وأنشأ يقول :

يا صاحب الخيل الجِيَادِ المُقْرَبه ✲ وصاحبَ الكَتيبة المُكَوكَبه
والقُبَّـةِ المَنيعـة المُحَجَّبـه ✲ وواهبَ المُضْـمَرة المُرَبَّبـه
والكاعِبِ البَهْكَنَةِ المُؤَتَّبـه ✲ والمِـائة المُـدْفأة المُنْتَخَبـه
والضَّارِب الكَبْش فُوَيْقَ الرَّقَبه ✲ تحت عَجَـاج الكَبَّة المُكَتَّبه
هذا مَقامُ مَنْ رأى مُطَّلَبَه ✲ لَدَيْك اذ عَمَّى الضَّلالُ مَذْهَبـه
✲ وخَالَ أنَّ حَتْفَه قد كَرَبَهْ ✲

فأذِنَ له المَلِك فدخل عليه وقَصَّ قصتَه ، فقال له الملك : أَنَّى لِحِلْمك ياشَيْظَم أن يَثُوب ولِنَوَارِك أن يثوب ، ثم بعث الى أولياء المقتول فأرضاهم عن صاحبهم .

قال أبو على وحدّثنى أبو بكر قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال قال أعرابى لابن عمه : اطْلُبْ لى امرأةً بيضاء ، مَديدةً قَرْعاء ، جَعْـدة تقوم فلا يُصيب قميصُها منهـا الا مُشاشَتَىْ مَنْكِبَيْها وحَلَمَتَىْ ثَدْيَيْها ورانِفَتَىْ أَلْيَتيها ورُضَافَىْ رُكبتيها ، اذا اسْتَلْقَتْ فَرمَيْتَ تحتها بالأُتْرُجَّة العظيمة نَفَذَتْ من الجانب الآخر ، فقال : وأنَّى بمثل هذه ألا فى الجِنان ! .

| المجلس الثانى فى صفة الأسد |

مجلس فى صفة الأسد — قال أبو على أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا الأشناندانى عن التوزى عن أبى عبيدة قال : اجتمع عند يزيد بن معاوية أبو زُبَيد الطائى و جميل بن مَعْمر العُذْرى والأَخْطل التَّغْلَبى ، فقال لهم : أيُّكم يصف الأسدَ فى غير شعر؟ فقال أبو زُبَيد : أنا يا أمير المؤمنين ، لَوْنُه وَرْد ، وزَئيرُه رَعْد — وقال مرة أخرى : زَعْد — وَوَثْبُه شَدّ ، وأَخْذُه جِدّ ، وهَوْلُه شَديد ، وشَرُّه عَتيد ، وناباه حَديد ، وأَنْفُه أَخْتَم ، وخَدُّه أدْرَم ، ومِشْفَرُه أَدْلَم ، وكَفّاه عُرَاضَتان ، ووَجْنَتاه ناتِئَتان ، وعَيْنَاه وَقّادَتان ، كأنهما لَمْحُ بارق ، أو نَجْمٌ طارق ، اذا استقبلتَه قلتَ أَفْدَع ، واذا اسْتَعْرَضْتَه قلت أَكْوَع ، واذا استدبرتَه قلت أَصْمَع ، بَصير اذا اسْتَغْضَى ، هَمُوسٌ اذا مَشَى ، اذا قَفَّى كَمَش ، واذا جَرَى طَمَش ، بَرَاثِنُه شَثْنَة ، ومَفَاصِلُه مُتَرْصَة ، مُصْعِقٌ لقَلْب الجَبَان . مُرَوِّعٌ لماضى الجَنَان ، إن قاسَمَ ظَلَم ، و إن كابَرَدَهَم ، و إن نال غَشَم . ثم أنشأ يقول :

خُبَعْثِنٌ أَشْوَسُ ذو تَهَكُّمٍ * مُشْتَبِكَ الأنياب ذو تَبَرْطُمِ
وذو أَهَاوِيلَ وذو تَجَهُّمِ * ساطٍ على اللَّيْث الهِزَبْرِ الضَّيْغَمِ
وعَيْنُه مثل الشِّهاب المُضْرَمِ * وهامُهُ كالحَجَر المُلَمْلَمِ

فقال: حَسْبُك يا أبا زيد. ثم قال: قل ياجميل، فقال: يا أمير المؤمنين، وَجْهُه فَدْغَم، وشِدْقُهُ شَدْقَم، ولَهْزُه مُعَرْنَزِم، مُقَدَّمُه كثيف، ومُؤَخَّرُه لطيف، وَوَثْبُه خفيف، وأَخْذُه عنيف، عَبْل الذِّراع، شَدِيد النُّخَاع، مُرْدٍ للسِّبَاع، مُصْعِق الزَّئير، شديد المَرِير، أَهْرَت الشِّدْقَين، مُتَرَص الحَصِيرَيْن، يركب الأهوال، ويَهْتصِر الأبطال، ويَمْنَع الأشبال، ما إن يزال جَاثِمًا فى خِيس، أو رابِضًا على فَرِيس، أو ذا وَلْغٍ ونَهِيس، ثم قال:

لَيْثُ عَرِينٍ ضَيْغَمٌ غَضَنْفَرُ * مُدَاخِلٌ فى خَلْقه مُضَبَّرُ
يُخَاف من أنيابه ويُذْعَر * ما إن يزال قائما يُزَمْجِر
لَهُ على كل السِّباع مَفْخَرُ * قُضَاقِضٌ شَثْنُ البَنَانِ قَسْوَرُ

فقال: حَسْبُك يابن مَعْمَر — . ثم قال: قل يا أخطل، فقال: ضَيْغَم ضِرْغام، غَشَمْشَم هَمْهَام، على الأهوال مِقْدام، وللأقران هَضَّام، رِئْبال عَنْبَس، جَرِيءٌ دَلَهْمَس، ذو صَدْر مُفَرْدَس، ظَلُوم أَهْوَس، لَيْثٌ كَرَوَّس:

قُضَاقِضٌ جَهْمٌ شديد المَفْصِل * مُضَبَّر الساعِد ذو تَعَشْكُلِ
شَرَنْبَثُ الكَفَّين حامى أَشْبُلِ * اذا لَقَاه بَطَلٌ لم يَنْكَلِ
مُلَمْلَمِ الهامةِ كَمْش الأرجُلِ * ذُو لِبَدٍ يَغْتَال فى تَمَهُّلِ
أَنْيَابُه فى فيه مثلُ الأنْصُلِ * وعَيْنُه مثل الشِّهاب المُشْعَلِ

فقال له: حسبك! وأمر لهم بجوائز.

* * *

وأنشد أبو على لجميل بن معمر:

سَقَى اللهُ جيرانى الذين تَحَمَّلوا * بِمُرْتَجِس أضحى بذى الرِّمْث يَهْطِلُ
له سَلَفٌ منه بنَجْدٍ مُرَيَّمٌ * ومنه عِشَارٌ فى تِهامة بُهَّلُ
ولولا ابْنةُ العُذْرِىِّ ماتِتُّ مَوْهِناً * لبَرْقٍ عَنَا مِنْ نحوها يَتَهَلَّلُ

* * *

قال : وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا العُكْلىّ قال حدّثنى حاتم بن قَبِيصة قال : أَغْزَى زِيَادٌ(١) ابنَه عَبَّادا الفارس ، وأَصْحبه المُهَلَّب ففتح ، فَبَيْنَاهُمْ كذلك اذ جاءهم فتى شابٌّ بفرس يقوده الى المهلَّب ، فقال : أيها الأمير ، أحب أن تَقْبَل منّى هذا الفرس ، فإنه من سِرّ خيلنا ، فَقَبِله المهلبُ منه ، فلما ذهب الفتى نظر اليه المهلب وحرّكه ، فقال : والله ما أرى فيه ما قال ولا أَحْسَبُه الا تَعَرَّض لِصِلَتنا : فأمر له بوَصِيفَتَيْن ، فَحُمِلتا على الفرس ورَدَّه الى الشابّ ، فقبل الوصيفتين ورَدَّ الفرسَ الى المهلب فكان فى خيله ، وكان داود بن قَحْدَم القَيْسى أحد بنى قيس بن ثَعْلبة نشأ فى حِجْر المهلب وكان يلى القيام على خيله فَقَدِموا شِيرَازَ وبها حُمْرَانُ بن أَبان واليا عليها وعلى فارس ، فقال لهم : هل لكم فى السِّباق؟ فقال عبّاد : ونحن على ظَهْرها . فقال المهلب : أَجِّلْنا أَجَلا . فقال : كم تريدون؟ قال : أربعين يوما . قال : نعم ، فَعَلَفَها الرِّطَابَ عشرين وأَضْمَرها عشرين . فقال داود بن قَحْدَم للمهلَّب : ان الفرس الذى أهداه الشاب الينا لا والله ما أضُمُّه الى شىء من خيلنا الا سَبَقَه . فقال المهلب : لعلَّه فرسُ مِنْزَاقٌ يَصْبِر فى القُرْب ولا يصبر اذا بَعُدت الغايةُ . قال : لا أدرى . قال : لأُرْسِلْه حتى أجىء . قال : فأمر المهلب بِلِقْحة تُحْلَب والفرس يسمع فلما سَمِع صوتَ الحِلَاب أصاخ بسمعه حتى أُدْنِيَتْ منه العُلْبة فشربها ، فلما رأى المهلبُ ذلك قال لداود : لا تُرْسِل الخيل حتى تعلم أنه قد تَوَسَّط الميدانَ ، فاستهان داود بالفرس ، فَحَمل عليه شابًّا . فقال المهلب : والله لقد مَرَّ بى سابقا وما أَرَى معه من الخيل واحدا . قال : فأخذه عَبَّاد بن المهلب فَحَمَله الى الشام وأهداه الى معاوية وسمّى الأعرابى ، فَسَبَق خيلَ الشام ، فلذلك قال عبد الملك بن مروان :

سَبَقَ عَبَّادٌ وصَلَّتْ لِحْيَتُهْ ❊ وكان خَرَّازًا تَجُود قِرْبَتُهْ

* * *

قال وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم قال حدثنا الأصمعى قال : جئت الى أبى عمرو بن العَلَاء فقال لى ، من أين أقبلتَ يا أصمعى؟ قلت : جئت من المِرْبَد . قال : هاتِ ما معك ، فقرأتُ عليه ما كتبت فى ألواحى ، فَمَرَّت به ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو فى الدَّرَجة وقال : شَمَّرْتَ فى الغريب أى غلبتَنى .

(١) كذا بالأصل ومقتضاه أن عبادا هو ابن زياد وفى بقية القصة ما يفيد أنه ابن المهلب الا أن يكون المسمى بعباد اثنين .

قال أبو على وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن قال قال عمى : سمعت بيتين لم أحْفِلْ بهما . قلت : هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب . قال : فإنى عند الرشيد يوما وعنده عيسى بن جعفر، فأقبل على مسرورٍ الكبير، فقال له : يا مسرور، كم فى بيت مال السرور ؟ فقال : ما فيه شيء . فقال عيسى : هذا بيت الحزن، فاغتمَّ لذلك الرشيد وأقبل على عيسى ، فقال : والله لَتُعْطِيَنَّ الأصمعىَّ سالمًا على بيت مال السرور ألفَ دينار، فاغتمَّ عيسى وانكسر . فقلت فى نفسى : جاء موضع البيتين : فأنشدت الرشيد رحمه الله تعالى :

اذا شئتَ أن تَلْقَى أخاك مُعَبِّسا * وجَدّاه فى الماضين كعبٌ وحاتم
فكَشِّفْه عما فى يديه فانما * تُكَشِّفُ أخبارَ الرجال الدراهم

قال : فتجلَّى عن الرشيد، وقال لمسرور : أعطِه على بيت مال السرور ألفى دينار، فأخذتُ بالبيتين ألفى دينار وما كان البيتان يساويان عندى درهمين .

وأنشد أبو بكر لمحمد بن صالح

طَرِب الفؤادُ وعادَهُ أحزانُه * وتَشَعَّبَتْ شُعَبًا به أشجانُه
وبَدا له من بعدما انْدَمَلَ الهوى * بَرْقٌ تَتابَعَ مَوْهِنًا لَمَعانُه
يبدو كحاشية الرداء ودُونَه * صَعْبُ الذُّرَى مُتَمَنِّعٌ أركانُه
فدنا لِيَنْظُر أين لاح فلم يُطِقْ * نَظَرًا اليه وردّه سَجَّانُه
فالوجدُ(١) ما اشتملتْ عليه ضلوعُه * والماء ما سَمَحَتْ(٢) به أجفانُه
ثم استعاذ من القبيح وردَّه * نَحْوَ العَزاء عن الصِّبا إيقانُه
وبدا له أن الذى قد ناله * ما كان قَدَّرَه له دَيَّانُه
حتى اطمأنّ ضميرُه وكأنما * هَتَكَ العلائقَ عاملٌ وَسنانُه
يا نفس لا يَذْهَبْ بقلبِك باخِلٌ * بالوُدِّ باذِلُ نافِهٍ مَنَّانُه
يَعِدُ القضاءَ وليس يُنْجِز مَوْعِدًا * ويكون قَبْلَ قضائه لَيَّانُه
فاقنع بما قَسَمَ المليكُ فأمْرُه * ما لا يُرَدُّ عن الفتى إتيانُه

(١) المحفوظ «فالثاو» ، ولعلهما روايتان . (٢) كذا بالأصل والمحفوظ : سمحت بغير ميم من السمح وهو الانصباب .

[مجلس فى الخيل المنسوبة]

قال أبو على حدّثنا أبو بكر عن الأصمعى قال : كان الحَرُون من خيل العرب . حدّثنى رجل من أهل الشام قال : كان مع مسلم بالرَّىّ ، ثم جاء فَشَهِدَ معه وقعةَ إبراهيم . قال حدّثنى بهذا النسب مسلم . قال : الحَرُون بن الأَثَالِىّ بن الخُزَز بن ذى الصُّوفة بن أَعْوَج فَرَس مسلم بن عمرو الباهلى فى الإسلام ، وكان مسلم اشتراه من أعرابى بالبصرة بألف درهم معاوَضةً بمتاع ، وذكر أنه كان فى عُنُقه رَسَنٌ حين أدخله الأعرابى ، يطير عِفَاؤه[1] فَسَبَق الناسَ عليه عشرين سنة ، وكان يَسْبِق الخيلَ ثم يَحْرُن حتى تلحقَه الخيل ، فاذا لَحِقَتْه سبقها ثم حَرَن ثم سبقها . وكان الحجاج قد بَعَث بابنٍ له يقال له البِطَان الى الوليد بن عبد الملك فَصَيَّره لمحمد ابنه . وولَد البِطانُ البَطِينَ . وولد البطينُ الذائدَ . وكان هشام ابن عبد الملك يشتهى أن يُسْبَق الذائدُ ، فأتوه بفرس بَرْبَرِىٍّ يقال له المُكانِب بعد ما حَطِمَ الذائد وسَبَق أيضا عشرين سنة . قال فَضَمَّه اليه فكان سائسُه يقول : جَهَدَ المُكانبُ الذائدَ جَهَدَه الله ! أى فى الجَرْى وهو مُتَفَسِّح . قال : فجاء معه يتقدمه بشىء . والذائد ابن البطين[2] . وأَشْقَرُ مَرْوان من نسل الذائد .

قال الأصمعى : كان عبد الله بن على قدم بأشقر مروان البصرة ، قال : فرأيته أشقَر أعْوَر من نسل الذائد .

قال : وحدّثنى جعفر بن سليمان قال : كان لا يدخل على الذائد سائسُه حتى يَأْذَنَ ، يُحَرِّك له مِخْلاةً فيها شعير ، فإن تَحَمْحَم دخل عليه ، وإن هو دَخَل قبل أن يفعل ذلك شَدَّ عليه ، وكذا كان يصنع بالفرس اذا جَرَى معه يَكْدِمُه .

قال الأصمعى : الوَجِيه ولاحِقٌ والغُرَاب وسَبَل وهى أُمُّ أعوج كانت لَغَنِىٍّ . وأعْوَجُ كان لبنى آكل المُرَار ، ثم صار لبنى هلال بن عامر . وجِرْوَةُ : فَرَس شَدَّاد بن عمرو أبى عنترة بن شداد . ومَيَّاسٌ وهَدَّاج لباهلة[3] لبنى أعيا ، قالت الحارثية :

شَقِيقٌ وحَرْمِىٌّ هَرَاقا دماءَنا * وفارسُ هَدَّاجٍ أَشَابَ النَّواصِيَا

---

(١) العفاء : الشعر اذا طال ووفى . (٢) كذا بالاصل وهو مكرر مع ما سبق قريبا . (٣) هكذا بالأصل ، ولعل بنى أعيا بطن من باهلة انظر وحرر .

والكَلْب : فرس رجل من بنى عامر أو غَطَفان . وقُرْزُل : فرس الطُّفَيل أبى عامر بن الطفيل . وذو الخِمَار : فرس مالك بن نُوَيْرة . والجَوْب : فرس أرْقَم بن نويرة . وذات النُّسُوع : فرس بِسْطام آبن قيس . والنَّعامة : فَرَس للحارث بن عَبَّاد ، وَوَلَدَتِ النَّعامةُ الشَّيِّط وهو لبنى سَدُوس . وكان لخُزَز بن لَوْذان ، وفيه يقول :

لا تذكرى مُهْرِى وما أَطْعَمْتُـه * فيكونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْد الأجرب

والمتَمَطِّر : فرس حَيَّانَ بنِ مُرَّة من نسله . وكامل : فرس الحَوْفَزان . وحَلَّاب وقَيْد لِبنى تَغْلِب . ومُخَالِس لبنى عُقَيـل . واليَحْمُوم والدَّفُوف للنعمان بن المنذر . والعَصَا : فرس جَذيمة الأبرش . وفى بنى تغلب فرس يقال له العصا فارسه الأخنس بن شهاب . والهَطَّال لزَيْد الخَيْل . والنَّحَّام لرجل يقال السُّلَيْك بن سُلَكة السَّعْدى . وداحس لقَيْس بن زُهَير . والغَبْراء لحذيفة بن بدر الذبيانى .

[خطبة زياد لما قدم البصرة]

قال أبو على وحدّثنا أبو العباس قال حدّثنى على بن عبد الله الهاشمى قال حدّثنا العكلى عن أبى معمر قال : قَدِم زياد والمُهَلَّب بن أبى صُفْرة البصرة ، فجاء الى الجمعـة وقد لَبِس قميصا مُرَحَّضا[1] ومُلَاءة مُمَصَّرة[2] ، فصَعِد المنبر ، فقال : رُبَّ فَرِح بإمارتى لن تنفعه ، ورُبَّ مُبْتَئِس بها لن تَضُرَّه ، ثم حَمِد الله وأثنى عليـه ، ثم قال : أيها الناس ، إن معاوية قد قال ما بَلَغكم وشَهِدَت الشهودُ بما قد سمعتم ، وإنّى امرؤ قد رَفَع اللهُ منّى ما وَضَـعُوا وحَفِظ منّى ما ضَيَّعوا ، وإن عُبَيْـدا لم يَأْلُ أن يكون كفالا مبرورا وأَبًّا مشكورا ، وإنا قد سُسْنا وساسَنا السائسون ، فلم نَجِدْ لهذا الأمر خَيْرًا من لِينٍ فى غير وَهْن ، ولا من شِـدَّة فى غير جَبْرِيَّة . أَلَا وإنها ليست كَذْبة أكثرَ عليها شاهدا من الله ومن المسلمين من كذبة إمام على مِنبَر ، فإذا سمعتموها منّى فاختـبروها فىّ ، واعلموا أن لهـا عندى أخَوات ، واذا رأيتمونى أُجْرِى الأمور فيكم على أَذْلالها[3] ، وأُمْضيها لسُبُلها ، فَلْتَسْتَقِمْ لى قَنَاتكم . والله لآخُذَنَّ المُقْبِلَ بالمُدْبِر ، والمُحْسِنَ بالمسىء ، والمطيعَ بالعاصى حتى يَلْقَى الرجلُ منكم أخاه فيقول : يا سَـعْدُ انْجُ فإن سعيدا قد قُتِـل . فقام اليـه رجل يقال له صَفْوان بن الأهتم فقال : والله ، لقـد آتاك الله الحكمةَ وفصلَ الخطاب .

---

(١) كذا فى النسخ مضبوطا بالتشديد ، وعبارة القاموس رحضه كمنعه غسله كأرحضه اهـ . (٢) ممصرة : مصبوغة بالمصر وهو الطين الأحمر وقيل هى ما صبغت بالعشرق وهو نبات أحمر طيب الرائحة تستعمله العرائس . (٣) على أذلالها : على وجوهها .

فقال : كَذَبْتَ ، ذاك نبي الله داود عليه الصلاة والسلام . ثم قام اليه الأحنف بن قيس فقال : أصلح الله الأمير ، إن الجَواد بشَدِّه ، وان السيف بحَدِّه ، وان المرء بجِدِّه ، وان جِدَّك قد بَلَغ بك ما ترى ، وان الثَّناء بعد البَلاء ، ولَسْنا نُثْنِي عليك حتى نَبْتَلِيَكَ ، فأَوْلِ خَيْرًا نُثْنِ به . ثم قام أبو بِلَال مِرْداسُ ابن أُدَيَّة فقال : يأيها الانسان ، إنا قد سمعنا ما قُلْتَ به وما أدَّيت عن نفسك ، وإن الله ذَكَرَ وَلِيَّه وخليلَه إبراهيم فقال : ﴿ وإبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَنْ لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ وأنت تزعم أنك تأخذ بعضنا ببعض وتقتل بعضنا ببعض . ثم سكت فما رُؤى بعد ذلك .

قال أبو العباس : وحُدِّثت بهذا الحديث من وجه آخر فيه ، فقال زياد : ياهذا ، إنا لن نَبْلُغ الحقَّ حتى نخوضَ اليه الباطلَ خَوْضا .

* * *

وأنشدنا لرَفِيع بن سَلَمة العَبْدى المعروف بدَمَاذ :

تَفَكَّرْت فى النَّحْو حتى مَلِلْتُ * وأتْعَبْتُ روحى له والبَدَنْ
وأتعبتُ بَكْرًا وأشياعَه * بطُول المسائل من كل فَنْ
فَمِنْ عِلْمِه ظاهرٌ بَيِّنٌ * ومِنْ عِلمه غامضٌ قد بَطَنْ
فكُنْتُ بظاهره عالما * وكنتُ بباطنه ذا فِطَنْ
سِوَى أنَّ بابًا عليه العَفَا * ءُ للفاء يا لَيْتَه لم يَكُن
وللواو بابٌ الى جَنْبِه * من المَقْتِ[1] أَحْسَبُه قد لُعِن
اذا قلتُ هاتوا لما قيل ذا * فَلَسْتُ بآتيك أو تَأْتِيَنْ
بما نَصَبُوه أبِينُوه لى * فقالوا جميعا بإضمار أن
وما إن رأيت لها موضعا * فأعْرِفَ ما قيل إلَّا بِظَنْ
فقد خِفْتُ يا بَكْرُ مِنْ طول ما * أُفَكِّر فى أمر أن أن أَجَنْ

قال أبو بكر : يعنى بِبَكْرٍ أبا عثمان المازنى . قال أبو العباس : فبلغ ذلك المازِنِيَّ ، فقال : والله ما أحْسَب أنه سألنى قَطُّ ، فكيف أَتْعَبَنى ! .

(١) فى نسخة : « من البغض » .

قال أبو العباس : كان على رضى الله تعالى عنه يأخذ البَيْعة على أصحابه ، فجعلوا يقولون نَعَام ، يريدون : نَعَمْ ، فقال على رضى الله عنه : ان النَّعَامَ والباقرَ فى الصَّحْراء لكثير ، ما لَكُمْ ! أبدلكم الله منِّى مَنْ هو شَرٌّ لكم مِنِّى ، وأبدلنى الله منكم من هو خير لى منكم .

قال أبو العباس : قرأت على التوزى عن أبى عبيدة إملاء عليه قال : مَرَّ حاتم بن عبد الله الطائى ببلاد عَنَزَة ، فناداه أسيرٌ لهم : يا أبا سَفَانة ، أَكَلنى الإسارُ والقَمْل . فقال له : وَيْحَك ! والله لقد أَسَأْتَ بى إذ نَوَّهْت بى فى غير بلاد قومى . قال : فنزل فَشَدَّ نفسه فى مكانه فى القِدّ وأطلقه حتى عُرِف مكانه فَفُدِى فداء كثيرا . قال : وفى غير هذا الحديث أن امرأةَ آسِره أَتَتْه والحَىُّ خُلُوفٌ ببعير قد نِيطَ وبشَفْرة فقالت له : افْصِدْه ، فقام فنَحَره — أو نال مرة أخرى فَلَثَم فى نَحْره — فَلَطَمَتْه فقال : «لو غَيْرُ ذات سِوارٍ لَطَمَتْنى» فقالت : أمرتُك أن تَفْصِده فنحرته ، فقال : «ذلك فَصْدِى أَنَهْ» فبذلك عُرِف . وقال أبو العباس مرة أخرى فقال : « هكذا فَزْدِى أَنَهْ » بالزاى ، وجعل الهاء بدل الألف فى الوقف وهو الأصل ، وهى لغته فبذلك عرف . وأنشدنا فى مثل ذلك :

لا أفْصِد الناقةَ من أَنْفِها * لكِنَّنى أُوجِرُها العالِيَـهْ

وأنشدنا أبو على لمحظة كتب بها الى الوزير ابن مُقْلة ، وكانت عند أبى على بخط محظة كما كتب بها :

سَلَامٌ عليكم من شُبَيْخ مُقَوَّس * له جَسَـدٌ بالٍ وعَظْمٌ مُحَطَّم
ألم يَكُ فى حقِّ النَّدام وحُرْمة الـ * ـمدائح أن يُحْنَى عليه ويُرْحَم
أبا حَسَنٍ أنْصِفْ فأنت مُحَكَّم * ولا تَقْرَبَنَّ الظُّلْمَ فالظلم مُظْلِم
أيُصْبِح مثلى فى جِوارك ضائعا * وحَوْضُك للطُّرَّاق بالجُود مُفْعَم
ووالله ما قَصَّرْتُ فى شُكْر نعمةٍ * مَنَنْتَ بها قِدْما وذو العرش يَعْلَم

[خبر أبى دهبل الجمحى وتزوله جيرون وتزوجه بذات القصر هناك]

قال وأخبرنا أبو عثمان الأشناندانى قال : أخبرنا التوزى عن أبى عبيدة قال : كان أبو دَهْبَل الجُمَحى جميلا وَضِيئا ، وكان عفيفا ، فخرج الى الشام ، فنزل جيرون ، فجاءته عجوز فقالت : ان ابنة لى وَرَدَها كتاب من حَمِيم لها وليس عندها أحد يقرؤه ، فتدخل اليها فى هذا القصر فتقرؤه فتحتسب الأجر فيها ، ففعل فدخل فأغلق الباب دونه واذا امرأة فى القصر رأته فأعجبها ، فدعته الى نفسها ،

فأبى . فأمرتْ حَشَمَها فسجنوه فى منزل من الدار ومُنِـع من الطعام والشراب حتى كاد يَهْلِك . ثم أمرتْ به فأُخْرِج ودعته الى نفسها فأبى ، وقال : أما الحرام فلا ، ولكن ان أردت أن أتزوَّجَك فَعَلْتُ . فقالت : نعم ، وأحسنتْ اليـه حتى ردّت له روحَه ، فتزوجته ومَنَعَتْه من الخروج حتى طال ذلك عليه . ثم قال لها ذات يوم : قد أَثِمْت فى وَلَدى وأهلى ، فأْذَنِى لى فى أن أطالعهم وأرجع اليك . فقالت : لا أستطيع فراقك ، فعاهَدها ألّا يغيبَ عنهـا أكثر من ستة أشهر ، وأعطته مالا كثيرا وغير ذلك ، فخرج حتى قَدِم على أهله بمكة ، فوجدهم قد نُعِىَ لهم واقتسم ولدُه ماله و زَوَّجوا بناتِه و وجد زوجته لم تأخذ من ماله شيئا و بكَتْ عليـه حتى غَمَضَتْ[1] . فقال لبنيه : أمّا أنتم فحَظُّكم ما أخذتم من مالى . وقال لزوجتـه : هذا المـال لك فاصنعى به ماشئتِ . وأقام عندها حتى قربت المدة ، ثم مضى الى الشام ، فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزنا عليه وأَسَفا لفراقه ، فقال فيها :

صـاحِ حَيَّا الاله حَيًّا ودُورا * عند أصل القَناة من جَيْرُون
عن يسارى اذا دَخَلْتُ الى الدا * ر وان كنت خارجا فَيَمِيـنى
فَبِتِلْك اغْتَرَبْتُ بالشـام حتى * ظَنَّ أهـلى مُرَجَّمات الظنون
وَهْىَ زَهْراء مثـل لؤلؤة الغَـوّاص مِيزَتْ من جوهر مَكْنون
واذا ما نَسَبْتَهـا لم تجـدها * فى سَناء من المكارم دُون
تَجْعَل المِسْـك واليَلَنْجُوج والنَّـدّ صِـلاءً لهـا عـلى الكانون
ثم ما شَيَّعَتْهـا[2] الى القُبَّـة الخَضراء تَمْشِى فى مَرْمَرٍ مَسْنُون
قُبَّـة من مَرَاجِلٍ ضَرَبَتْهـا * قبـل حَدّ[3] الشـتاء فى قَيْطُون
ثم فارقتُهـا على خـير ما كا * ن قَـرِينٌ مفارقا لقَـرِين
فَبَكَتْ خشـيَةَ التَّفَـرُّق للبَيْـ ـن بكاءَ الحَزِين إثْرَ الحـزِين
فَسَـلِى عن تَذَكُّرِى واطْمَئِنِّى * بإيابى وان هُمُ عَـذَلونى

قال أبو على : وهذا الشعر روى لعبد الرحمن بن حسان و به كان سَبَب أمر يزيد الأخطل بهجاء الأنصار ، وفيه أبيات ليست فى شعر عبد الرحمن .

(١) كذا فى الأصل وفى اللسان عمشت . (٢) كذا فى الأصل والذى فى الصحاح واللسان ثم خاصرتها شاهدا على المخاصرة وهى أخذ الرجل بيد الرجل فى المشى . (٣) هكذا فى الأصل ، والذى فى اللسان فى مادة قطن : «عند بَرد» ،

* * *

قال أبو بكر بن الأنبارى قال بعض مَشْيَختنا قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : كان أَشْعَب فيمن يألف مُصْعَب بن الزبير، فَغَضِبت عائشة بنت طلحة يوما على مصعب، وكانت زَوْجَته ومِنْ أحبّ الناس اليه، فشكا ذلك الى أشعب، فقال : ما لى إن رَضِيَتْ أصلح الله الأمير؟ قال : حكمُك، قال : عشرة آلاف درهم . قال : ذلك لك، فانطلق أشعبُ حتى أتاها، فقال لها : جُعِلْتُ فداءَك! قد عَلِمْتِ حُبِّى لكِ ومَيْلِى اليك قديما وحديثا على غير مَنال أَنَلْتِنِيه، ولا فائدة أَفَدْتِنِيها، وهذه حاجة قد عَرَضَتْ تَرْتَهِنين بها شكرى، وتَقْضِين بها حَقّى بغير مَرْزِية . قالت : وما هى؟ قال : قد جَعَل لى الأميرُ إن رَضِيتِ عنه عشرةَ آلاف درهم . قالت : ويحَك! لايمكننى ذلك . قال : بأبى أنتِ وأمى! ارْضَىْ عنه حتى يعطِيَنى العشرة آلاف درهم، ثم عُودِى الى ما عَوَّدك الله من سوء خلقك، فضحكت من كلامه ورَضِيَتْ .

قال إسحاق : أُتِىَ ابن أبى مُسَاحِق بابن أخت له وقد أَحْبَل جارية من جوارى جيرانه، فقال له : ياعَدُوَّ الله، اذا ابْتُلِيتَ بالفاحشة فهلّا عَزَلْتَ! قال : جعلتُ فداءك! بلغنى أن العَزْل مكروه، قال : أَفَمَا بَلَغك أن الزنا حرام!

وأنشد إسحاق :

يعلو بهم جَدُّهُمُ صاعدا * وجَدُّنا فى رِجْله رَهْصه

قال أبو محلم : سمعت جرير بن عبد الحميد ينشد :

إنّى اكتحالًا بالبياض الأَبْرَج[1] * ونَظَرًا فى الحاجب المُزَجَّج

* مِئِنَّةٌ من الفَعال الأعوج *

قال ابن حبيب قال هشام قولهم : بنو الشهر الحرام، قالت بنو عامر بن عوف : هو مالك بن عمير بن عامر بن بكر بن عامر بن عوف، وكان أبى يقول : الشَّهْرُ الحَرَام هو عَبْدُ وَدّ بن عوف بن كِنانة بن عوف بن عُذْرة، وهم رَهْط هشام الكلبى، وانما سمى بذلك، لأنه كان يُحَرِّم الشهر الحرام .

(١) كذا فى الأصل وفى اللسان فى مادة أنن : * إن اكتحالا بالنق الأملج * وفى مادة ملج منه : الأملج، ضرب من العقاقير ويطلق على الأصفر الذى ليس بأبيض ولا أسود فلعلهما روايتان .

وقال التَّيْمِى : أنشدنا أبو مَسْلَمة الكِلَابى وقد باع جاريته نَبَأً من عثمان بن سُحَيم التاجر ، فقال له بعض أصحابه : يا أبا مسلمة ، بِعْتَ نبأً ! فقال :

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ(١) يا أُمَّ مالك * كَرائمَ مِنْ رَبٍّ بِهِنَّ ضَنِينِ

فبلغ أبا مصعب ، فاشتراها وردّها على أبى مسلمة .

[خبر عمرو بن معد يكرب وأخيه عبد الله]

قال الأصمعى كان بين عمرو بن مَعْدِ يكرِب و بين رجل من مُراد ـ يقال له أُبَيٌّ ـ كلام ، فتنازعا فى القَسْم ، فعجِل عمرو وكانت فيه عَجَلة ، وكان عبد الله أخو عمرو رئيس قومه ، فجلس مع بنى مازن رَهْط من سَعْدِ العَشيرة ، وكانوا فيهم . فقعد عبد الله يشرب و يسقيهم رجل يقال له المخزَّم من بنى زُبَيْد له مال وشَرَف . وكان عَبْدٌ من عبيد المخزَّم قائما يسقى القوم ، فَسَبَّه عبد الله وضربه ، فقام رجل نَشْوانُ من بنى مازن فقتل عبدَ الله ، فَرَأَس عَمْرٌو بعد أخيه ، وكان غزا غَزْوةً فأصاب فيها ومعه أُبَيٌّ المُرادى ، فادعى أنه كان مُساند عمرو ، فأبى عمرو أن يعطيه ، فلما رجع عمرو من غَزَاته جاءت بنو مازن فقالوا : قَتَلَه رجل منّا سفيه ونحن يَدُك عليه وعَضُدُك ، وانما قتله سكران فنسألك بالرَّحم أن تأخذ الدية وتأخذ بعد ذلك ما أحببت ، فأخذ عمرو الدية وزادوه بعد ذلك أشياء كثيرة ، فغضبت أخت له تسمى كَبْشة ، وكانت ناكحا فى بنى الحارث بن كعب فقالت :

وأَرْسَل عبدُ الله إذ حان يومُه * الى قومه ألا تُحَلُّوا لهم دمى
ولا تأخُذوا منهم إفَالًا وأَبْكُرًا * وأُتْرَك فى بيت بصَعْدة مُظْلِم
ودَعْ عنك عَمْرًا ان عمرا مُسَالِمٌ * وهَلْ بَطْنُ عمرو غيرُ شِبْرٍ لمَطْعَم
فان أنتمُ لم تَقْتُلوا واتَّدَيْتُمُوا * فَشُلُّوا بآذان النَّعَامِ المُصَلَّم
ولا تشربوا الا فُضُولَ نسائكم * اذا أُنْهِلَتْ(٢) أعقابُهُنَّ من الدم
جَدَعْتُم بعبد الله آنُفَ قومه * بنى مازن أَنْ سَبَّ ساقى المُخَزَّم

فلما حَضَّت كبشة أخاها عمرا أكبَّ بالغارة عليهم وهم غارُّون ، فأوْجَع فيهم . ثم إن بنى مازن احْتَملوا فنزلوا فى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، فقال عمرو فى ذلك :

(١) فى نسخة : تنزع مكان تخرج اه . (٢) هكذا فى الأصل ، والذى فى معجم ياقوت اذا ارتملت أى تلطخت ، والمدار على الرواية .

تَمَنَّتْ مازنٌ جَهْـلًا خِلَاطِى * فَذُوقِى مازنٌ طَعْمَ الخِـلَاطِ[1]
أَطَلْتُ فِرَاطَكُم عامًا فعـامًا[2] * ودَيْنُ المَذْحِجِىّ الى فِـرَاطِ
أَطَلْتُ فِرَاطَكُم حَـتَّى اذا ما[3] * قَتَلْتُ سَرَاتَكم كانت قَطَاطِ
غَدَرْتُم غَدْرةً وغَدَرْتُ أخرى[4] * فمـا إن بَيْنَنا أَبَدًا يَعَاطِ
بطَعْنٍ كالحَرِيق اذا الْتَقَيْنـا[5] * وضرب المَشْرَفِية فى الغُطَاطِ

[ما أنشده أبو عبيدة فى كتاب الخيل لعبد الغفار الخزاعى من أبيات يصف فيها الفرس]

قال أبو على فى كتاب الخيـل لأبى عبيدة : أنشد أبو عبيدة لعبد الغفار الخُزَاعى هذه الأبيات وذكر أن عروضها لا تُخَرَّج :

ذاك وقد أَذْعَرُ الوَحْشَ بصَلْـــتِ الخَدِّ رَحْبٍ لَبَـانُه مُجْفَر
طويل خَمْسٍ قَصير أربعـةٍ * عَرِيض سِتٍّ مُقَلَّص حَشْوَر
حَدَّثْتُ له تسعةٌ وقد عَرِيَتْ * تِسْعٌ ففيـه لمن رَأَى مَنْظَر
بعيد عَشْرٍ وقد قَرُبْنَ له * عشرٌ وقد طالَتْ ولم تَقْصُر
نُقْفِيه بالمَحْض دون وِلْدَتِنا * وعُضُّـه فى آرِيِّه يُنْشَـر
نَصْـبَحُه تارةً ونَغْبُقُـه * أَلْبَان كُومٍ رَوائِم ظُؤَّر
حَتَّى شَتَا عنـدنا يقال ألا * تَطْوُون من بُدْنِه وقد أَضْمَر
مُوَثَّق الخَلْق جُرْشُعٌ عَتَـدٌ * مُنْضَرِج الحُضْرحين يُسْتَحْضَر
خَاظِى الحَمَاتَيْن لَحْمُه زِيَمٌ * نَهْـدٌ شديد الصِّفاق والأَبْهَر
رقيقُ خَمْسٍ غليظ أربعـةٍ * نائى المَعَدَّيْن لَيِّن أَشْـعَر

قال أبو عبيـدة : يعنى بقوله طويل خمس أى ظويل نَصِيل الرأس، طويل الأذنين، طويل العنق والكتفين، طويل البطن من غير أن تَقْرُب الى الأرض، طويل الأَقْراب، طويل الناصية،

(١) الخلاط : أن يشتبك مع القوم فى الحرب . (٢) فراطكم : إمهالكم والتأنى بكم . (٣) قطاط كقطام أى حسبى . (٤) يعاط : كلمة ينذر بها الرقيب أهله إذا رأى جيشا . (٥) الغطاط بالضم : أول الصبح أو بقية من سواد الليل .

طويل الذِّرَاعين، طويل الرِّجْلين . فهذا ما يُسْتَحَبُّ[1] من الفرس أن يَطُول . وذكر هذا الشاعر منها خمسا . وقوله : قصير أربعة أى قصير الأرساغ ، قصير عَسِيب الذَّنَب ، قصير النَّضِيّ ، قصير الكُرَاعَيْن ، قصير الأُطْرة وهى عَصَبة فوق الصِّفاق . فهذا ما يستحب أن يَقْصُر من الفرس وهُنَّ عشر ، وذكر هـذا الشاعر منهن أربعا . وقال : عريض ستٍّ أى عريض الجبهة ، عريض اللَّبَـان ، عريض المَحْزِم ، عريض الفَخِذين ، عريض وَظِيَى الرِّجْلين ، عريض مثنى الأُذُنين . فهذا ما يستحب أن يَعْرُض من الفرس وهن تسع ، وذكر هـذا الشاعر منهن ستا . وقوله : حَدَّتْ له تسعة أى حَدِيد الأذنين ، حديد المَنْكِبين ، حديد العينين حديد القلب ، حديد عُرْقُوبَى الرجلين ، حديد المَنْجِمَيْن ، وهما عظمان فى الكعبين متقابلان فى باطنهما ، حديد الكَتِفين . فهذا ما يستحب أن يَحِدَّ من الفرس وهن ثلاث عشرة ، وذكر هذا الشاعر منهن تسعا . وقوله : وقد عَرِيَتْ تسع أى عارى النَّوَاهِق ، عارى السُّمُوم ، عارى الخَدَّيْن ، عارى الجبهة ، عارى مثنى الأذنين ، عارى الكَعْبين ، عارى عَصَب اليـدين عارى عصب الرجلين . فهذا ما يستحب أن يَعْرَى من الفرس وهن خمس عشرة ، وذكر هذا الشاعر منهن[2] تسعا . وقوله : تِسْعُ كُسِين[2] أى مُكْتَسِى الكَتِفين ، مكتسى المَعَدَّيْن ، مكتسى الناهضين ، مكتسى الفخذين ، مكتسى الكاذَتَيْن ، مكتسى أعلى الحَمَاتَيْن . فهذا ما يستحب أن يَكْتَسِىَ من الفرس وهن اثنتا عشرة ، وذكر هذا الشاعر منهن تسعا . وقوله : بعيد عشر بعيد ما بين العَيْنين ، بعيد ما بين الجَحْفَلة والناصية ، بعيد ما بين الأذنين والعينين ، بعيد ما بين أعالى اللَّحْيين ، بعيـد ما بين الناصية والعُكُوة ، بعيد ما بين الحارك والمَنْكِب ، بعيد ما بين العَضُدين والركبتين ، بعيد ما بين البطن والرُّفْغَين ، بعيد ما بين الحَجَبَتَيْن والجاعرتين ، بعيد ما بين الشَّرَاسِيف . فهذا ما يستحب أن يَبْعُـد ما بينهما من الفرس ، وذكر هذا الشاعر منهن عشرا[3] ولم يَعُـدَّ البين أعنى بين كل شيئين فَيَكُنَّ ستًّا ، ولكنه عدّ كل اثنين تباعَدَا . وقوله : وقد قَرُبْن له عشر أى قريب ما بين المُنْخُرين ، قريب ما بين الأذنين ، قريب ما بين المَنْكِبين ، قريب ما بين الرُّفْغَين ، قريب ما بين الركبتين والجنبين ، قريب ما بين الجُبَب والأشاعر ، قريب ما بين الحارك والقَطَاة ، قريب ما بين المَعَدَّيْن والقُصْرَيَيْن ، قريب ما بين

(١) سيأتى له أنها ستة عشر عضوا . (٢) وقوله تسع كسين لم يتقدّم فى الأبيات ذكر هذه العبارة ، ولعل هنا بيتا سقط من قلم الناسخ . (٣) هكذا فى النسخ ولعل هنا سقطا ، وقد تقدّم مثله فى شرح قوله طويل خمس .

الجَاعِرَتَيْن والعُكْوة، قريب ما بين النَّفِنَتَيْن والكعبين، قريب ما بين صبيَّ الفَخِذين . فهذا ما يستحبُّ أن يَقْرُب من الفـرس، وإن عَدَدْت البَيْن وَجَدْت أحد عشر بينا، وإن عددت ما قرب منها فهنّ ثنتان وعشرون، وذكر هـذا الشاعر منهن عشرا . وقوله : طويل خمس جاء تفسيرهن ستة عشر عضوا وقد تقـدم ذكره . وقوله : رقيق خمس أى رقيق الحَجافل، رقيق الأَرْنَبَـة ، رقيق عَرْض المَنْخرين، رقيق الجفون، رقيق الحاجبين، رقيق الأذنين، رقيق الخَدَّين، رقيق الشعر، رقيق الجلد، رقيق شَعَر الثُّنَن، رقيق شعر الركبتين، رقيق الحُصَل . فهذا ما يستحب أن يَرِقَّ من الفرس وهن سبع عشرة، وقد ذكر هـذا الشاعر منهن خمسا . وقوله : غليظ أربعـة أى غليظ الخَلْق، غليظ القوائم، غليظ القَصَرة، غليظ عُكْوة الذَّنَب. وقد أرحب[1] منه أى رَحْبُ الشَّدْقَيْن، رَحْب المنخرين، رَحْب الْإِهَاب، رحب الجوف، رحب العِجَان، رحب اللَّبَان، فهـذا ما يستحب أن يَرْحُب من الفرس وهن تسع . وذكر الأسدى فى قوله : وفيه من الطير خمس ثم فسر الخمس فى البيت الثانى فقال:

غُرَابَانِ فَوْقَ قَطَاةٍ له * ونَسْرٌ ويَعْسُوبُه قد بدا

[مطلب ما فى الفرس من أسماء الطير]

وفى الفرس من أسماء الطير ثمانية عشر اسما : العُصْفُور وهو عَظْمٌ ناتئ فى كل جَبِين، وهو أيضا من الغُرَر اذا دَقَّ، وهو أصل مَنْبِت الناصية، وهو الدماغ بعينه . والنَّعَامة وهى الجلدة التى تُغَطِّى الدماغ . والذُّبَاب وهى النُّكْتة الصغيرة التى فى العين، ومنه البصر وجمعه أَذِبَّة وذِبَّان وهو إنسان العين أيضا . والسِّحَاءة وهى الخُفَّاش أحد السِّحَاءتين، وهما عُظَيْمان صغيران فى أصـل اللسان . والصُّرَد : عِرْق أخضر فى أصل اللسان من أسفله، وهما صُرَدَان، والصُّرَد أيضا : بياض يكون فى الظهر من أثر الدَّبَر فى موضع السَّرْج، يقال : فرس صَرِدٌ اذا كان ذلك به . والفَرَاشة . عَظْم يتفتَّت فى الرأس، وجمعها فَرَاش وهى عِظَام رِقَاقٌ طِرَاقٌ بعضُها على بعض كالقشر، وهى أيضا ما بين لَهَواته عند أصل لسانه، وهى فى الكتفين ماشَخَص من فروع الكتفين الى أصل العنق الى مُسْتَوَى الظهر . والحَمَامة : القَصُّ وهو من الرُّهابة الى مُنْقَطَع أصل الفَهْدَتَيْن . والسَّمَامة وجمعها سَمَائم وسَمَام وهى مارَقَّ عن صلابة العظم فى الوجه، والسَّمامة أيضا : الدارة التى فى سالفة العُنُق . والناهِضُ وهمـا ناهضان، والجمع نَوَاهِض

(١) هذه العبارة، وقوله فيما سيأتى وفيه من الطير خمس، لم تذكر هذه العبارة فى الأبيات، ولعلها سقطت من الناسخ .

وأَنْهَض وهو اللحم الذى يلى العَضُدَيْن من أعلاهما المجتمع . والقَطَاة : ما بين الحَجبتين والوَرِكين وهو مَقْعَد الرِّدْف خَلْفَ الفارس ، والجَمِيع قَطًا . والغُرَاب : أحد الغُرَابين وهما ملتقى أعالى الوَرِكين . والقَطَاة بينهما على العَجُز ، وقال قوم : إنهما فروع كَتِفى الوَرِكين السُّفْلَيين الى الفَخِذين . والغُرَاب : ما ارتفع من أصل الذَّنَب . والحَرَب فى الصدر وهو الرُّحْبيَان وهو أعالى غُضون الفَهْدَتين الى أسفل المنكبين مما يلى اللَّبَانَ . والنَّسْر وجمعه النُّسور وهو ما ارتفع عن بطن الحافر من أعلاه كأنه النَّوَى والحصى . والزُّرَّق وهو فى الشِّيَة الشعراتُ البيض فى اليد أو فى الرجل . والدُّخَّل وهو لحم الفخذين ، وأنشد :

* اذا تَحَجَّبْن بزَهْر دُخَّله *

واليَعْسُوب فى الشِّيَة وهو أن تكون الغُرَّة على قَصَبة الأنف أعلى من الرَّتَم منقطعة فوقه ، ويقال إنه كل بياض على قصبة الأنف عَرُض أو اعتدل ، ثم ينقطع قبل أن يساوى أعلى المُنْخُرين ، وإن ارتفع على قصبة الأنف وعرض واعتدل حتى يبلغ أسفلَ الخُلَيْقاء قلَّ أو كثُر ما لم يبلغ العينين . والهامَة والصَّقْر .

[وصف الحسن البصرى على بن أبى طالب رضى الله عنهما لما سئل عنه]

قال أبو على قال أبو بكر بن أبى الأزهر حدثنى البصرى المسمعى قال حدثنى عبد الملك بن مروان التيمى تيم بكر قال حدثنا محمد بن الفضل الأنصارى عن سلمة بن ثابت عن هشام بن حسان قال : قلت للحسن البصرى : يزعم الناس أنك تُبْغِض عَلِيًّا ، قال : أنا أُبْغِض عليا ! كان سَهْما صائبا من مَرَامِى الله عز وجل ، رَبَّانِىَّ هذه الأمة ، وذا فضلِها وشرفِها ، وذا قَرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزَوْج فاطمة الزَّهراء ، وأبا الحسن والحسين ، لم يكن بالسَّرُوقة لمال الله ، ولا بالنَّؤُومة فى أمر الله ، ولا بالمَلُولة لِحَقِّ الله ، أَعْطَى القرآنَ عزائمَه ، وعَلِمَ ماله فيه وما عليه حتى قبضه الله اليه ، ففازَ برياض مُونِقة ، وأَعْلام مُشْرِقة . أتدرى من ذاك ؟ ذاك على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

قال أبو على حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعى قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول — ولم يَقُلْه ان شاء الله بَغْيا ولا تَطَاوُلا — : ما رأيت أحدا قبلى أعلم منِّى . قال الأصمعى : وأنا لم أر بعد أبى عمرو أعلم منِّى . قال أبو حاتم : وكان كثيرا ما يقول لى : يابنى ، ان طَفِئَتْ شَحْمة عينى هذه ، ويومئ الى عينه ، لم تَرَمثلى ، وربما قال : لم تر أحدا يَشْفِيك من هذا الحرف أو هذا البيت .

[خبر المنذر بن ماء السماء وقتله ندیمیه وجعله نفسه فی کل سنة یوم بؤس ویوم نعیم وقتله عبید بن الأبرص]

قال أبو علی حدّثنا أبو بکر بن درید قال أخبرنا عبـد الرحمن عن عمه قال قال عمی سمعت یونس ابن حبیب یقول : کان المُنْذِر بن ماء السماء جدّ النعمان بن المنـذر ینادمه رجلان من العرب ، خالد ابن المُضَلَّل ، وعمرو بن مسعود الأَسَدِیَّان ، وهما اللذان عناهما الشاعر بقوله :

أَلَا بَکِرَ النـاعی بخَیْرَیْ بنی أَسَـدْ * بعمرو بن مسعود وبالسَّیِّد الصَّمَدْ

فشرب لیـلة معهما فراجعاه الکلامَ فأغضباه ، فأمر بهما فقُتِلا وجُعِـلا فی تابوتین ، ودُفِنا بظاهر الکوفة . فلما أصبح وصَحَا سأل عنهما فأُخْبِر بذلك ، فنَـدِم وركب حتی وقف علیهما ، فأمر ببُنْیَانِ الغَرِیَّیْنِ[1] ، وجعل لنفسه فی کل سنة یومین : یومَ بُؤس ویومَ نعیم ، فکان یَضَع سریرَه بینهما ، فاذا کان فی یوم نعیمه فأوّلُ من یَطْلُع علیه وهو علی سریره یعطیه مائةً من إبل الملوك ، وأوّل من یطلع علیه فی یوم بؤسه یعطیه رأس ظَرِبان ، ویأمر به فَیُذْبَح ویُغَرَّی بدمه الغَرِیَّانِ ، فلم یزل کذلك ما شاء الله ، فبینا هو ذات یوم من أیام بؤسه اذ طلع علیه عَبِید بن الأَبْرَص ، فقال له المَلِكُ : ألا کان الذِّبْحُ غیرَك یاعَبِید ! فقال عبید : «أَتَتْكَ بحائنٍ رِجْلاه» فقال له الملك : أو أجَلٌ قد بَلَغ إناه ؟ ثم قال : یاعبید ، أنشدنی فقد کان یعجبنی شعرُك ، فقال : «حال الجَرِیضُ دون القَرِیض» و «بَلَغ الحِزَامُ الطُّبْیَیْنِ» فقال أنشدنی :

أَقْفَر من أهـله مَلْحُوبُ * فالقُطَبِیَّات فالذَّنُـوبُ

فقـال : أقفر من أهله عَبِید * فالیومَ لا یُبْدِی ولا یُعِید

عَنَّتْ له مِعَنَّةٌ نَکُود * وحان له منها وُرُود

فقال : أنشدنی هَبِلَتْك أُمُّك ! فقال : «المَنَایا علی الحَوَایا» ، فقال بعض القوم : أنشد الملكَ هبلتك أُمُّك ! فقال : «لا یَرْحَلُ رَحْلَك مَنْ لَیْسَ معك» ، فقال له آخر : ما أشَدَّ جَزَعَك من الموت ! فقال :

لا غَرْوَ من عِیشةٍ نافِدَه * وهل غَیْرُ ما میتةٍ واحده

فأبْلِغْ بَنِیَّ وأعمامَهـم * بأنَّ المَنَایا هی الراصـده

لهـا مُدَّةٌ فنفوسُ العبـاد * الیها وان کَرِهَتْ قاصده

فـلا تَجْزَعوا لحِمـام دَنَا * فَلِلْمَوْتِ ما تَـلِدُ الوالده

---

[1] الغریان : بناءان مشهوران بالکوفة ویقال هما قبر مالك وعقیل ندیمی جذیمة الأبرش وسمیا کذلك لأن المنذر کان یغری بهما من یقتله فی یوم بؤسه .

فقال له المنـذر : لا بدَّ من الموت ، ولو عَرَض لى أبى فى هذا اليوم لم أجد بُدًّا من ذبحه ، فأما إذ كنت لها وكانت لك فاخْتَرْ من ثلاث خصال : ان شئت من الأكْحَل ، وان شئت من الأبْجَل ، وان شئت من الوَرِيد . فقال : ثلاث خصال مَقَادُها شَرٌّ مَقَاد ، وحاديها شَرٌّ حاد ، ولا خير فيها لمُرْتاد ؛ فإن كنت لا بدّ قاتلى فاسْقِنِى الخَمْرَ ، حتى اذا ذَهلَتْ لها ذَوَاهِلى ، وماتت لها مَفَاصِلى ؛ فشأنَك وما تريد . فأمر المنذر له بحاجته من الخمر ، فلما أخذتْ منه وقُرِّب ليُذبح أنشأ يقول :

وخيَّرنى ذو البؤس فى يوم بؤسه * خِلالًا أرَى فى كلِّها المَوْتَ قد بَرَقْ
كما خُـيِّرَتْ عادٌ من الدهر مَرَّةً * سحائبَ ما فيها لذى خِـيرةٍ أَنَقْ
سحائبَ ريح لم تُوَكَّل ببَـلْدةٍ * فَتَـتْرُكَها الا كما لَيْـلة الطَّلَقْ

وأمر به فَفُصِد ، فلمـا مات طُلى بدَمِه الغَرِيَّان .

وحدّثنا أبو بكر عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة قال قال حُذَيفة بن اليمان : ما خلق الله عز وجل شيئا إلا صغيرا ثم يَكْبَر إلا المصيبة ، فإنه خَلَقها كبيرة ثم تَصْغُر .

[خبر أبناء ربيطة الثمانية الذين مدحهم عبد الله بن الزبعرى فى قوله : ألا لله قوم ولدت]

قال أبو على وحدّثنـا أبو بكر بن دريد قال حدّثنى عمى عن أبيه قال سئل ابن الكلبى عن قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى :

أَلَا لله قَـوْمٌ وَ * لَدَتْ أُخْتُ بنى سَهْم

قال : هى رَيْطَةُ بنت سعيد بن سَهْم ، وكان بنوها ثمانية : هاشم بن المغيرة وكان أكبرَ القوم ، وهو جدّ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من قِبَـل أُمِّه حَنْتَمة بنت هاشم ، وهشام بن المُغيرة ، ومُهَاشِم ومِهْشَم جميعا واحد وهو أبو حُذَيفة ، وأبو أُمَيَّة بن المغيرة وهو زاد الرَّكْب ، وأبو ربيعة بن المغيرة وهو ذو الرُّمْحَين جدّ عمر بن أبى ربيعة الشاعر ، وعبـد الله بن المغيرة ، وخِرَاش بن المغيرة ، والفاكِهُ بن المغيرة ولم يُسْلِمْ منهم غيره وهو شيخ كبير يومئذ أعمى فقال ابن الزِّبَعْرَى :

ألا لله قـوم و * لدت أختُ بنى سهم
هشام وأبو عبـد * مَنَافٍ مِـدْرَهُ الخَصْم
وذو الرُّمْحَيْن أَشْـباكَ * من القُوَّة والحَـزْم

يُكَنَّ القولَ فى المجلـــس أو يَنْطِق عن حُكْم
فَهْـــذَانِ يَذُودانِ * وذا مِنْ كَثَبٍ يَرْمِى
أُسُـــودٌ تَزْدَهِى الأقرا * نَ مَنَّاعون للهَضْم
وهُمْ يَوْمَ عُكاظٍ مـــنَعُوا الناس من الهَزْم
بجَأْواءَ طَحُـــونٍ نَخْـــمةِ القَوْنَسِ كالنَّجْم
فإن أَحْلِفْ ببيت اللَّـــهِ لا أَحْلِفُ عن إثم (١)
ما إن إخْـــوَةٌ بَيْنَ * قصـور الشام والرَّدْم
كأمثال بنى رَيْطَـــةَ من عُرْب ولا عُجْم

[قبـور أولاد العباس بن عبد المطلب أبعد قبـور على وجه الأرض]

قال : وأخبرنى عمى عن أبيـه عن ابن الكلبى قال : أَبْعَدُ قبور إخوةٍ على الأرض قبورُ بنى أُمِّ الفَضْل الهِلَالِيَّة أم ولد العباس بن عبد المطلب : واحدٌ بالمدينة، وآخرُ بالطائف، وآخر بالشام، مات فى طاعون عَمْوَاس بالشام فى سلطان عمر رضى الله تعالى عنه، وعبدالله بن العباس الحَبْر دفن بالطائف وصلى عليـه محمد بن على رضى الله تعالى عنه، وآخر بأفريقية، وآخر بسَمَرْقَنْد، والفضل بن العباس رضى الله تعالى عنه رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى طاعون عَمْواس بالشام، وعبيدالله ابن العباس الجَوَاد مات بالمدينة، وقُثَم بن العباس شبيه النبى صلى الله عليه وسلم مات بسَمَرْقَنْد زَمَنَ معاوية فى إمارة سعيد بن عثمان، وعبد الرحمن بن العباس قُتِل بأفريقية زمن عمر رضى الله تعالى عنهم، أمهم أم الفضل الهلالية وهى لبابة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَيْر بن الهَزْم بن رُوَيْبـة بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعة .

[خبر الخليل بن أحمد وصديقه مع امرأة من فصحاء العرب و بناتها]

قال : وأخبرنا الأشناندانى عن التوزى قال : كان للخليل بن أحمـد صَدِيق يُكنى أبا المُعَلَّى مولًى لبنى يَشْكُر، وكان أَصْلَع شديد الصَّلَع، فبينا هو والخليل جالسان عند قصر أوس اذ مرت بهما امرأة يقال لها ام عثمان من ولد المُعَارِك بن عثمان ومعها بناتٌ لها، فقال أبو المعلى للخليل : يا أبا عبد الرحمن،

(١) ويروى : لا أحلف على اثم بسكون فاء أحلف .

ألا نُكلِّم هـذه المرأة! قال : ويحك! لا تفعل، فإنهن أعدُّ شيء جوابا، والقولُ الى مثلك يُسرِع ، فجلسن يتزوَّجن فقال لأمهن : يا أَمَةَ الله، أَلَكِ زَوْجٌ ؟ قالت : لا والله ولا لواحدة منا، قال : فهل لكُنَّ فى أزواج؟ قالت : وَدِدْنا والله، قال : فأنا أتزوجك ويتزوج هذا إحدى بناتك، فقالت له : أمَّا أنتَ فقد ابتلاك الله ببلاءين: أما أحدهما فانه قد قَرَعَ رأسَك بمِسْحاةٍ، وجعل لك عِقْصَةً فى قفاك بيضاء، فكأنما صارت فى قفاك نُخَامة، فبلغ من نُوكك أنك خَضَبْتَها بحُمْرة ، فلو كُنْتَ اذ ابتُلِيت خَضَبْت بسواد فغَطَّيْت عوارَك هـذا الذى أبداه منك ! ثم قالت له : أظنك من رَهْط الأعشى، فقال لها أبو المعلى : أنا مولى لبنى يَشْكُر. قالت : أفتروى بيت الأعشى :

وأَنْكَرَتْنى وما كان الذى نَكِرَتْ * من الحَوادِث الا الشَّيْب والصَّلَعا

فما بَقِىَ بعد هـذا الا الموتُ هُزالا ، ثم التفتت الى الخليل فقالت : من أنت يا عبد الله؟ فقال : أنا الخليل بن أحمد، كُفِّى رحمك الله ! فقد والله نَهَيْته عن كلامك وحَذَّرْته هذا ! قالت : أمَا إنك قد نَصَحْت له، أما علم هذا الأحمق أن النساء يَحْتَرِزْن من الرجال المُسْجُلانِىِّ المَنْظَرانِىِّ المَخْبَرانِى، الغَليظ القَصَرة، العظيم الكَمَرة، الذى اذا طَعَن فأصاب حَفَر، واذا أَخْطأ قَشَر، واذا أخرجه عَقَر ؛ قال : فضحك الخليل ، ثم قامت المرأة ومعها بناتها يَتَهادَيْنَ ، فتمثَّل أبو المعلى بقول عمر بن أبى ربيعة المَخْزومى :

فَتَهادَيْنَ وانْصَرَفْـــنَ ثِقَالَ الحَقَائِب

فقالت : يا أحمق، أما تدرى ما قال الشاعر فى قومك ؟ قال : لا، فقالت : قال :

يَشْكُرُ الله ويَشْكُرُ لا تستطيع الوفاء * وتَعْجِز يشكر أن تَغْدِرا

وإنى أُقسم بالله لو كان لكل واحدة منا من الأَلْحاح بعدد ما أَهْدَى مالكُ العُكْلى الى عَمْرة بنت الحارث التُّمَيْرى، ما أعطيناك ولا صاحبَك منها شيئا، فقال الخليل : نَشَدْتُك بالله، كم كانت الهدية التى أهداها العكلى الى النميرية؟ قالت له : أراك حاذقا بانتجميش قليـل الرواية للشِّعْر، ثم أنشدته قول العُكْلِىّ :

هديَّتِى أختَ بنى نُمَيْر * لِعِرْكِ يا عَمْرةُ ألفُ عَيْر

* فى كل عير ألف كُرْأَيْر *

قال : فقال الخليل : أما إنه قد قَصَّر ! أفلا جَعَل لأَسْتِها بعضَ الهدية ولم يَدَعْها فارغة ! قالت : قد أَشْفَق على هديته أن تحترق ، ألم تَرْوِ بيتَ جرير حيث يقول :

ولو وُضِعَتْ فِقاحُ بنى نُمَيْرٍ * على خَبَثِ الحديد إذًا لَذَابا

فقال الخليل لأبى المعلى :

نَصَحْتُك يامحمد إنَّ نُصْحِى * رَخِيصٌ يا رفيقَ للصَّديق

فلم تَقْبَلْ وكم مِنْ نُصْح وُدّ * أُضِيعَ فَحَاد عن وَضَح الطريق

قال : ثم انصرفت المرأة و بقى الخليل وأبو المعلى متعجِّبين منها ومن ذَرَابة لسانها وسرعة جوابها .

[مطلب خروج بنى عبد مناف الى الشام واليمن والحبشة وبلاد فارس لاخذ العهود من ملوكها وتأمين السبل لتجار قريش]

قال أبو على : وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال حدّثنا العتبى ومحمد بن سَلَّام كلاهما قالا : كانت قريش تجارًا ، وكانت تجارتهم لا تَعْدُو مكَّةَ ، انما تَقْدَم عليهم الأعاجمُ بالسِّلَع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم و يبيعونها على من حولهم من العرب ، فكانوا كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل بقيصرَ ، فكان يذبح كلَّ يوم شاةً و يصنع جَفْنةَ ثريد و يَجْمَع مَنْ حَوْلَه فيأكلون ، وكان هاشم من أجملِ الناس وأَتَمِّهم ، فذُكِر ذلك لقيصرَ فقيل له : هاهنا رجل من قريش يَهْشِم الخُبْزَ ثُم يَصُبُّ عليه المَرَقَ ويُفْرِغ عليه اللحمَ ، وانما كانت العجم تصبُّ المَرق فى الصِّحَاف ثم تأتدم بالخبز ، فدعا به قيصرُ ، فلما رآه وكلَّمه أُعْجِب به ، فكان يبعث اليه فى كلِّ يوم فيدخل عليه و يحادثه ، فلما رأى نفسَه تمكَّن عنده قال له : أيها الملك ، ان قومى تِجَار العرب ، فان رأيت أن تكتب لى كتابا تُؤَمِّن تجارتَهم فيَقْدَموا عليك بما يُسْتَطرف من أَدَم الحجاز وثيابه فتباع عندكم فهو أرخص عليكم ! فكتب له كتابَ أمان لمن يَقْدَم منهم ، فأقبل هاشم بذلك الكتاب ، فجَعَل كلَّما مرَّ بحىّ من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافا — والإيلاف : أن يأمنوا عندهم فى أرضهم بغير حِلْف إنما هو أمان الطريق — وعلى أن قريشا تحمل اليهم بضائع فيَكْفُونهم حُمْلانها و يؤدّون اليهم رءوسَ أموالهم وربْحَهم ، فأصلح هاشم ذلك الإيلاف بينهم و بين أهل الشام حتى قدم مكة فأتاهم بأعظم شىء أتُوا به بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم يُجَوِّزهم يُوَفِّيهم إيلافَهم الذى أَخَذ لهم من العرب حتى أوردهم الشام وأحلَّهم قُرَاها ، ومات فى ذلك السفر بغَزَّة . وخرج المُطَّلِب بن عبد مناف الى اليمن فأخذ من ملوكهم

عهدا لمن تَجَر اليهم من قريش . وأخذ الإيلاف كفعل هاشم ، وكان المُطَّلِب أكبر ولد عبد مناف ، وكان يسمَّى الفَيْضَ وهلك بَرْدمان من اليمن . وخرج عبـد شمس بن عبد مناف الى الحبشة ، فأخذ إيلافا كفعل هاشم والمطلب ، وهلك عبـد شمس بمكة فَقَبْرُه بالحَجُون . وخرج نوفل بن عبـد مناف وكان أصغر ولد أبيه فأخذ عهـدا من كسرى لتجار قريش وإيلافا ممن مرَّ به من العـرب ، ثم قَدِم مَكَّةَ ورجع الى العراق فمـات بسَلْمان . واتسعتْ قريشٌ فى التجارة فى الجاهليـة وكثرت أموالُها ، فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش مِنَّةً فى الجاهية والإسلام .

[ما وقع بين عبد الله بن على حين قتله بنى أمية وبين أبى حاتم]

قال أبو على حدّثنا أبو بكر بن دريد عن أبى حاتم قال : لمـا قَتَـلَ عبدُ الله بن على بنى أُمَيَّة بنهر أبى فُطْرُس بَعَثَ إلَىَّ ، قال : فدخلت عليـه فاذا قَتْلَى مصروعين والخراسانيةُ بين يديه بأيديهم الكافركوبات ، فقال لى : ما تقول فى مَخْرَجِنا هذا؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليـه" قال : فمـا تقول فى هؤلاء القتلى؟ قلت : ومن هؤلاء؟ قال : بنو أمية . قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمـان أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس" وتشاغل عنّى فخرجت وطلبنى ، فحال الله بينى وبينه إنه على كل شىء قدير .

[خبر غسان بن جهضم مع ابنة عمه أم عقبة وما وقع لها بعد وفاته عنها]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم عن العتبى قال حدّثنى أبى قال : اجتمعت عنـد خالد ابن عبد الله القَسْرى فقهاءُ الكوفة وفيهم أبو حمزة الثَّمَـالى ، فقال خالد : حَدّثونا بحديث عشق ليس فيه فُحْش ، فقال أبو حمزة : أصلح الله الأمير ، بلغنى أنه ذكر عنـد هشام بن عبد الملك غَدْر النساء وسرعةُ تزويجهن بعـد انقضاء عدّتهن ، فقال هشـام : انه ليبلغنى من ذلك العَجَبُ . فقال بعض جلسائه : أنا أحدّثك يا أمير المؤمنين عما بلغنى عن امرأة من بنى يَشْكُر كانت عند ابن عم لها فمات عنها بعـد مسألته إياها عما تريد أن تصنع بعده ، فأخذ العهود عليها فى ذلك ، وكان اسمه غَسَّانَ ابن جَهْضَم بن العُذافر ، وكان اسم ابنة عمه أم عقبة بنت عمرو بن الأبجر ، وكان لها مُحِبًّا ، وكانت له

كذلك، فلمـا حضره الموت وظن أنه مفارق الدنيا قال ثلاثةَ أبيات، ثم قال: اسمعى يا أمَّ عُقْبة ثم أجيبى، فقد تاقت نفسى الى مسألتك عن نفسك، فقالت: والله لا أجيبك بكذب ولا أجعله آخرَ حَظّى منك، فقال:

أخبرى بالذى تريدين بعـدى * والذى تُضْمِرين يا أمَّ عُقْبهْ
تحفظينى من بعد موتى لمـا قد * كان منّى من حسن خُلْق وصُحْبهْ
أم تريدين ذا جمـال ومال * وأنا فى التراب فى شُحْقِ غُرْبهْ

فأجابته تقول:

قد سمعتُ الذى تقول وما قد * يابنَ عمّى تخاف من أمِّ عُقْبـهْ
أنا من أحْفَظِ النسـاء وأرعا * ه لمـا قد أوْلَيْتَ من حسن صحبهْ
سوف أبكيك ما حَييتُ بنَوْح * ومَرَاثٍ أقولُهـا وبنُـدْبهْ

فلما سمع ذلك أنشأ يقول:

أنا والله واثـقٌ بك لكن * احتياطا أخاف غَدْرَ النسـاء
بعد موت الأزواج يا خَيْرَ من عُو * شِر فارْعَىْ حَقّى بحسن الوفاء
انى قد رجوت أن تحفظى العهـ * ـدَ فكونى ان مُتُّ عنـد الرجاء

ثم أخذ عليها العهود، واعْتُقِـل لسانه فلم ينطق بحرف حتى مات، فلم تمكث بعده إلا قليلا حتى خُطِبت من كل وجه، ورَغِب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها، فقالت مجيبةً لهم:

سأحفظ غَسّانا على بُعْدِ داره * وأرعاه حتى نَلْتَقى يوم نُحْشَر
وإنّى لفى شُغْلٍ عن الناس كلهم * فَكُفُّوا فما مثلى بمن مات يَغْدِر
سأبكى عليه ما حَييت بدَمْعـة * تَجُول على الخَـدَّيْن منى فتَهْمِر

ولمـا تطاولت الأيام والليالى تناست عهدَه، ثم قالت: من مات فقد فات، فأجابت بعضَ خُطّابها فتزوجها، فلما كانت الليلةُ التى أراد الدخول بها فيها أتاها غَسّانُ فى منامها وقال:

غَـدَرْتِ ولم تَرْعَىْ لعهـدِك حُرْمة * ولم تعرفى حقّا ولم تَحْفَظى عَهْـدَا
ولم تَصْبِرى حَوْلا حِفَاظًا لصاحب * حَلَفْتِ له بَتّا ولم تُنْجِزى وَعْـدَا
غَـدرت به لمـا ثَوَى فى ضريحه * كذلك يُنْسَى كلُّ من سَكَنَ اللَّحْدَا

فلما سمعت هـذه الأبياتَ انتبهت مرتاعة كأن غسان معها فى جانب البيت ، وأنكر ذلك من حضر من نسائها فأنشدتهن الأبياتَ ، فأخذن بها فى حديث يُنْسِينَها ما هى فيه ، فقالت لهنّ : والله ما بقى لى فى الحياة من أَرَبٍ حياءً من غسـان ، فتغفَّلتْهنّ فأخذت مُدْيةً فلم يُدْرِكْنَها حتى ذبحت نفسها ، فقالت امرأة منهن هذه الأبيات :

لله دَرُّكِ ما ذا * لَقِيتِ من غَسَّانِ
قَتَلْتِ نفسَـك حُزْنا * يا خِيرةَ النِّسْوانِ
وَفَيْتِ من بعـد ما قد * هَمَمْتِ بالعِصْيانِ
وذو المعـالى غَفُـور * لسَـقْطة الإنسـانِ
إنَّ الوفاءَ من الله * لم يَزَلْ بمكانِ

فلما بلغ ذلك المتزوِّج بها قال : ما كان فيها مُسْتَمْتَع بعد غسان ، فقال هشام بن عبـد الملك : هكذا والله يكون الوفاء ! .

* * *

قال أبو بكر وأنشدنا أبو عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة لابن مَيَّادة المُرّى :

حمراء منها ضَخْمة المكان * ساطعة اللَّبَّـة والجِرَانِ
كأنها والشَّوْلَ كالشَّنَانِ * تَمِيسُ فى حُلَّةِ أُرجُوَانِ
لو جاءَ كَلْبٌ معه كَلْبانِ * أو لاعِبٌ فى كَفِّه دُفَّانِ
وزافِنَانِ ومُغَنِّيانِ * ما بَرِحَتْ أَعْظُمُها الثمانى

يعنى قوائمها ، كما قال الآخر[1] يصف ناقة طَيِّبة النَّفْس عند الحَلْب :

طَوَتْ أَرْبَعًا منها على ظَهْرِ أَرْبَعٍ * فَهُـنّ بمَطْوِيَّاتهنّ ثَمَـانِ

وكما قال الآخر[2] :

نَعُوسٌ لو أنَّ الدُّفَّ يُضْرَب حولها * لِتَنْحاش عن قاذورةٍ لم تُنَـاكِرِ

(١) تقدّم فى الجزء الأول ص ١٦٠ أن قائل هـذا البيت هو كعب بن زهير ، وكذلك فى اللسان مادة : « جمع » وقد روى فى هذين الموضعين :

ثنت أربعا منها على ثنى أربع * فهن بمثنياتهن ثمان

(٢) بهامش الأصل أنه كعب بن زهير رضى الله عنه .

قال أبو على وأنشدنا جحظة قال أنشدنى أبو عبد الله بن حمدون[1] عن الزبير رحمه الله :

هَجَرْتُكَ لما أن هجرتك أَصْبَحَتْ * بنا شُمَّتًا تلك العيونُ الكَوائِح
فلا يَفْرَح الواشون بالهجر رُبَّما * أطال المُحِبُّ الهجرَ والحَيْبُ ناصح

وأنشدنى لأعرابى يكنى بأبى الخَيْهَمْعَى :

هَجَرَتْ مشيمةُ[2] فالفؤاد قَـرِيح * ودُمُوع عينك فى الرِّداء سُفُوح
ولقد جرى لك يوم سَرْحة رابغٍ * فيما يُعَيِّف سـانح وبَرِيح
أهْوَى القَـوادِم بالبياض مُلَمَّع * قَلِقُ المَرَاتِـع بالفـراق يَصيح
حَسَنٌ إلىّ حديثُ من أحببتـه * وحديثُ ذِى الشَّنَآنِ منه قَبِيح
الحُبُّ أَبْغَضُـه إلىّ سَـتِيرُه * صَرِّح بذاك فراحـةٌ تَصْرِيح

[لامية الشنفرى]

وقال قال الشَّنْفَرَى :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّى صُـدُورَ مَطِيِّكم * فإنِّى الى أَهْـلٍ[3] سواكم لَأَمْيَـلُ
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليل مُقْمِر * وشُـدَّت لِطِيَّاتِى[4] مَطايا وأَرْحُل
وفى الأرض مَنْأًى للكريم عن الأذى * وفيها لِمَنْ خاف الْقِـلَى مُتَعَزَّل
لَعَمْرُك ما بالأرض ضِيقٌ على امرئ * سَرَى راغبـا أو راهبـا وهو يَعْقِل
وَلِى دُونَكم أَهْلُون سِـيدٌ عَمَلَّسٌ * وأَرْقَطُ زُهْـلُول وعَرْفاءُ جَيْأَل
هُمُ[5] الرَّهْطُ لا مُسْتَوْدَعَ السِّر شـائعٌ[6] * لَدَيْهم ولا الجانى بما جَرَّ يُخْـذَل
وكُلُّ أَبِىٍّ باسِـلٌ غـيرَ أننى * اذا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرائد أَبْسَـلُ
إن مُدَّتِ الأَيْدِى الى الزاد لم أَكُنْ * بأَعْجَـلِهم اذ أَجْشَعُ القوم أَعْجَـل
وما ذاك الا بَسْطَةٌ عن تَفَضُّل * عليهم وكان الأَفْضَلَ المُتَفَضِّل
وإنِّى كَفَانى فَقْـدُ من ليس جازيا * بُحْسْنَى ولا فى قُرْبِه مُتَعَـلَّل

(١) فى نسخة : عبد الله بدون لفظ الكنية . (٢) كذا هو بالشين المعجمة فى نسخة وفى أخرى بالباء المثلثة .
(٣) المعروف فانى الى قومى . (٤) فى نسخة : لطيات بغير إضافة . (٥) فى نسخة : هم الأهل . (٦) فى نسخة : ذائع .

ثلاثةُ أصحابٍ فؤادٌ مُشَيَّعٌ * وأَبْيَضُ إصْلِيتٌ وصَفْراء عَيْطَل

هَتُوف من المُلْس الحِسَان يَزِينُها (١) * رَصَائِعُ قد نِيطَتْ عليها ومِحْمَل

اذا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَنَّتْ كأنها * مُرَزَّأَةٌ (٢) ثَكْلَى تَرِنُّ وتُعْوِل

ولَسْتُ بِهَيَّاف يُعَشِّي سَوَامَه * مُجَدَّعَةً سُقْبانُها وهي بُهَّل

ولا جبأ أكهى مُرِبٍّ بِعِرسِه * يُطالِعُها في شأنه كيف يفعل

ولا خالِفٍ دارِيَّةٍ مُتَغَزِّل (٣) * يَرُوح ويَغْدُو داهِناً يَتَكَحَّل

ولَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّه دونَ خَيْرِه * أَلَفّ اذا ما رُعْتَه اهتاج أَعْزَل

ولست بِمِحْيَار الظَّلام اذا نَحَتْ * هُدَى الهَوْجَل العِسِّيف يَهْماءُ هَوْجَل

اذا الأَمْعَز الصَّوَّان لاقَى مَنَاسِمِي * تَطَايَر منه قادِحٌ ومُفَلَّل

أُدِيمُ مِطالَ الجوع حتى أُمِيتَه * وأَضْرِب عنه الذِّكْرَ صَفْحًا فأَذْهَل

وأَسْتَفُّ تُرْبَ الأرض كَيْ لا يَرَى له * عَلَيَّ من الطَّوْل امْرِؤٌ مُتَطَوِّل

ولولا اجْتِنابُ الذَّامِ لم يَبْقَ مَشْرَبٌ * يُعَاش به إلَّا لَدَيَّ وما كل

ولكنَّ نَفْسًا حُرَّةً لا تُقِيم بي * على الضَّيْمِ الَّا رَيْثَ ما أَتَحَوَّل

وأَطْوِي على الخُمْصِ الحَوَايا كما انْطَوَتْ * خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَار وتُفْتَل

وأَغْدُو على القُوت الزَّهِيد كما غدا * أَزَلُّ تَهَاداه التَّنَائِفُ أَطْحَل

غدا طاوِيًا يُعَارِض الرِّيحَ هافِيًا * يَخُوت بأذناب الشِّعاب ويَعْسِل

فَلَمَّا لواه القُوت من حيث أَمَّهُ * دعا فأجابَتْه نظائرُ نُحَّل

مُهَلْهَلَةٌ شِيبُ الوُجُوهِ كأنها * قِدَاحٌ بِكَفَّيْ ياسِرٍ يَتَقَلْقَل

أو الخَشْرَمِ المَبْعُوث حَثْحَثَ دَبْرَه (٤) * مَحَابِيضُ رَدَّاهُن سامٍ مُعَسِّل

مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كأنَّ شُدُوقَها * شُقُوق العِصِيِّ كالحاتٌ وبُسَّل

---

(١) في نسخة : المتون . (٢) في نسخة : بجل . (٣) في نسخة زيادة بيت قبله وعليها شرح الزمخشري وهو

ولا خَرِقٍ هَيْقٍ كأن فؤادَه * يظلُّ به المُكَّاء يعلو ويسفُل

(٤) الذي في النسخة التي شرح عليها الزمخشري : أرداهن سام ، وقال : أرداهن : أنزلهن . وسام : مرتقع . وفي اللسان : شار وقال أراد بالشاري الشائر فقلبه .

فَضَـــجَّ وضَجَّت بالبَراح كأنَّهـا * وإياهُ نُوحٌ فوق عَلْيـاء ثُكَّل
وأغْضَى وأَغضَتْ وأْتَسَى وأْتَسَتْ به * أرامِلُ عَـــزَّاها وعَزَّتْه أَرْمَـــل
شَكَا وشَكَتْ ثم ارْعَوَى بعدُ وارْعَوَتْ * وللصَّبْرُ ان لم يَنْفَع الشَّكْوُ أَجْمَـــل
وفاءَ وفاءَتْ بادراتٍ وكُلُّهـــا * على نَكَطٍ مما يُكاتِمُ مُجْـــل
وتَشْرَب أَسْآرَى القَطَا الكُدْرُ بعد ما * سَرَتْ قَرَبًا أحشاؤها تَتَصَـــلْصَل
هَمَمْتُ وهَمَّتْ وابْتَدَرْنا وأَسْدَلَتْ * وشَمَّـــر مِنِّى فارِطٌ مُتَمَهِّـــل
فَوَلَّيْتُ عنها وهى تَكْبُو لِعُـــقْره * يُبَاشِرُه منها ذُقُونٌ وحَوْصَـــل
كأنَّ وَغَاها حَجْرَتَيْه وحَـــوْلَه * أَضَامِيمُ من سُـــفْلَى(١) القَبائل نُزَّل
تَوافَيْنَ من شَتَّى اليه فَضَـــمَّها * كما ضَمَّ أذوادَ الأَصَارِيم مَنْهَـــل
فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثم مَرَّتْ كأنها * مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ من أُحَاظَةَ مُجْفِل
وآلَفُ وَجْهَ الأرض عند افتراشها * بأهْـــدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ فُـــلَّ
وأَعْدِلُ مَنْحُوضًا كأنَّ فُصُوصَـــه * كِعَابٌ دَحَاها لاعِبٌ فَهْىَ مُثَّـــل
فان تَبْتَئِس بالشَّـــنْفَرَى أُمُّ قَصْطَلٍ * لَمَـا اغْتَبَطَتْ بالشنفرى قَبْلُ أَطْوَل
طَـــرِيدُ جِنَاياتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَـــه * عَقِـــيرَتُه لِأَيِّهـا حُـــمَّ أَوَّل
تَبِيتُ(٢) اذا ما نامَ يَقْظَى عُيُـــونُها * حِـــثَاثًا الى مَكْرُوهه تَتَـــغَلْغَل
وإِلْفُ هُمُـــومٍ ما تَزَال تَعُـــودُه * عِيَادًا كَحُمَّى الرِّبْعِ أوهِىَ أَثْقَـــل
اذا وَرَدَتْ أَصْـــدَرْتُها ثم إنَّهـا * تَشُـــوب فَتَأْتِى من تُحَيْتِ ومِنْ عَلُ
فإمَّا تَرَيْنِى كابْنَـــةِ الرَّمْل ضاحِيًـا * على رِقْبَةٍ(٣) أحْـــفَى ولا أَتَنَعَّـــل
فانِّى لَمَـوْلَى الصَّـبْرِ أجْتَـاب بَزَّه * على مِثْل قَلْبِ السِّمْع والحَزْمَ أَفْعل
وأُعْـــدِم أحـــيانا وأَغْنَى وإنما * يَنَـالُ الغِنَى ذو البُعْدة المُتَبَـــذِّل

---

(١) كذا بالأصل بصيغة تأنيث الأسفل وفى نسخة الزمخشرى سفر بالراء بعد الفاء بوزن صحب وفسره بالمسافرين .

(٢) فى رواية الزمخشرى تنام ، أى تنام جنايات الشنفرى متيقظة عيونها اذا نام هو . (٣) فى رواية الزمخشرى : على رقة بغير موحدة بعد القاف وقال : يعنى رقة حال . وفى هامش الأصل هنا مانصه : قلت قال أبو الصخر الهذلى :

فتقضى هم النفس فى غير رقبة * ويغرق من خشى نميمته البحر

فلا جَزِعٌ لخَـلَّةٍ مُتَكَشِّف * ولا مَرِحٌ تحْتَ الغِنَى أتَخَيَّـل
ولا تَزْدَهِى الأجْهالُ حِلْمِى ولا أُرَى * سَئولا بأعقاب الأحاديث أُنْمِل
ولَيلةِ نَحْسٍ يَصْطَلِى القَوْسَ رَبُّها * وأَقْطَعُـه اللَّائى بها يَتَنَبَّـل
دَعَسْت على بَغْشٍ وغَطْشٍ وصُحْبَتى * سُـعارٌ وإرْزِيزٌ ووَجْرٌ وأَفْكَل
فأَيَّمْتُ نِسْـوانا وأيْتَمْتُ إلْدَةً * وعُدْتُ كما أبدأْتُ واللَّيْـلُ أَلْيَل
فأصْـبَح عَنِّى بالغُـمَيْصاء جالسا * فَرِيقَان مَسْـئولٌ وآخَرُ يَسْـأل
فقالوا لقد هَرَّتْ بلَيْـلٍ كِلَابُنا * فقلت أذِئْبٌ عَسَّ أم عَسَّ فُرْعُل
فلم يَكُ الا نَبْـأةٌ ثم هَـوَمَتْ * فَقُلْنا قَطَاةُ رِيعَ أم رِيعَ أجْـدَل
فإنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لَأَبْرَحُ طارقا * وإن يَكُ إنسًا ما كَهَا الإنْسُ يَفْعَل
ويَوْمٍ من الشِّعْرَى يَذُوب لُعابُه * أُفَاعِيـه من رَمْضائه تَتَمَلْمَل
نَصَبْتُ له وَجْهِى ولا كِنَّ دُونَه * ولا سِـتْرَ إلَّا الأَتْحَمِيُّ المُرَعْبَـل
وضافٍ اذا هَبَّت له الرِّيحُ طَيَّرَتْ * نَبائذَ عن أعطافه ما تُرَجَّـل
بَعِيدٌ بَمَسِّ الدُّهْن والفَـلْىِ عَهْدُه * له عَبَسٌ عافٍ من الغَسْل مُحْـوِل
وخَرْقٍ كَظَهْر التُّرْس قَفْـرٍ قَطَعْتُه * بعامَتَيْن ظَهْرُه ليس يُعْـمَل
فَأَلْحَقْت أولاه بأخراه مُوفِيًا * على قُنَّـةٍ أُقْعِى مِرَارًا وأَمْثُـل
تَرُودُ الأَرَاوِى الصُّحْمُ دونى كأنَّهـا * عَذَارَى عَلَيْهِـنَّ المُلَاء المُـذَيَّل
ويَرْكُدْن بالآصال حَـوْلِى كأنَّنى * من العُصْم أدْفَى يَنْتَحِى الكِيحَ أَعْقَل

[قصيدة لجرير بن الغوث]

وأنشد لجرير بن الغوث أحد بنى كنانة بن القين مُخَضْرَم :

طَرَقَتْ سَوِيَّةَ من بَعِيدٍ بعـد ما * كادت حِبالُكِ ياسَوِىَّ تَقَضَّب
جاءت تَمَايَلُ فى المَطارف بادِنًا * والخَطْوُ مُنْقَطِـعُ المَطَا مُتَهَيِّب
فسألْتُها أنَّى اهْتَـدَتْ لِرِحالنـا * أم كَيْفَ آبَك طَيْـفُها المتأوِّب
فَثَنَتْ بسالِفةٍ كأنَّ سُمُـوطَها * فى جِيـد آلفة الرياض تَضَرَّب

وتبسَّمتْ بفَـمٍ شَنِيبٍ نَبْتُـه * كالأُقْحُـوان له نَدًى يَتَصَبَّب
عَذْبِ الرُّضاب لو أنه يُشْفَى به * وَصِبٌ لأَدْرَك شَكْوَه المُتَوَصِّب
نَظَرَتْ اليك من الطِّراف كأنما * يَعْطُو لصـوتك شَادِنٌ مُتَرَبِّب
عَجَـبًا لِتِيلك نَظْرةً ولِراقِبٍ * غَيْرَان يُرْهِبُه الوعيـدُ فيَرْهَب
نظرتْ فكاد يُشَاب شَرٌّ بيننا * ولَرُبَّمَا يَحْنِي الدَّلالُ ويأْشِب
اخْتَرْتُ عن خُبْرٍ يزيد فَضَافَنِي * همِّي فكان الى يزيد المَرْغَب
فاليْـكَ تَخْتَضع المَطِيُّ كأنَّهـا * عُوجُ القِسِيِّ الماسِخِيَّةِ تَنْسُب
وَرَدَتْ نِطاف فلم تَجِدْ بَلَلًا بها * قد كان أذهبـه سَمُومٌ صَيْهَب
حتى دَفَعْـن الى يزيد ولم يكن * لِبَرُوع طالبَه السَّنِيحُ الأَعْضَب
بَعَثَ البَشـير وكان وُلْدَ بليَـلةٍ * مَيْمـونةٍ ولَقَاه يَـوْمٌ طَيِّب
فَدَعا له الخُلَفاء لما بُشِّـرُوا * كيما يُرَى قَمَرا يُنِـير ويُحْجَب
مَلِكًا فلم تُرَ غَـير عامٍ واحـدٍ * حَتَّى مَضَتْ لك شُرْطَتانِ ومَوْكِب
شَرِبَتْ قُرَيْشٌ سُؤْرَه ورَضُوا به * ورَجَوْا مَنازِلَهُ العُـلَى فتَذَبْذَبوا
لك فَوْقَ مَنْ يَطَأُ الحَصى أُكْرُومَةٌ * فافْخَـرْ بفَضْـلٍ يا يزيد يُغَلَّب
بَيْتَانِ قَـد فَرَعا البيوتَ بَناهما * أَبَـواك حَيْثُ تَجَبَّب المُتَنَجِّب
ما مِثْـلُ أُمِّكما الـتي وَلَدَتْكما * أُمًّا ولا كأبِيـكُما مَلِكًا أب
نَزَلا بكم وَسْـطَ السماء فلم يكن * مِثْـل الَّذى نَزَلَا مَنازِل تُطْلَب
هَدَمَ الحُصونَ من العَدُوِّ وحِصْنُه * بالأَمْن مُرْتَفِـع المَنَاكِب مُصْعَب
أُفُقٌ تُرَى راياتُه مِنْ فوقِـه * كالطَّـيْر تَحْنُـو مَرَّةً وتَقَلَّب

قال أبو على قال لى أبو بكر بن دريد يقال : أَلَاحَ الرجلُ على الرجل يُلِيح اذا جَزِع عليه وأنشد :

وقد رَابَنِي مِنْ صاحبي أنَّ صاحبي * يُلِيح على قُرْصِى ويَبْكِى على جُمْل
فلو كنتَ عُذْرِىَّ العَلاقة لم تَبِتْ * بَطِيناً وأنساك الهوى شدَّة الأكل

قال : انما قال عذرى الهوى ، لأن العشق فى بنى عُذْرة كثير . ويُلِيح : يَذْهَب به ، ويُلِيح : يُشْفِق . قال ويقال : أشْبَاك بفلان ، كما يقال : حَسْبُك بفلان ، وأنشد : (١)

وذو الرُّمْحَيْن أشْـبَاكَ * من القُوَّة والحَزْم

قال ويقال : بَسْلٌ فى معنى آمين ، يَحْلِف الرجل ثم يقول : بَسْلٌ . والبَغْزُ بالزاى : النشاط للإبل ، قال الشاعر :

* تَخَال باغِزَها بالليل مجنونَا *

والحِنْجُ : الأصـل ، يقال : فلان فى حِنْج صِدْقٍ أى فى أصل كَرَم . والدَّعْبُوب : الطريق الدارس ، وأنشد : (٢)

وكُلُّ قومٍ وان طالت سلامَتُهم * يوما طَرِيقُهم فى الشَّرِّ دُعْبُوب (٣)

والدُّعْبُوب : حَبٌّ أسود يُخْتَـبزُ فى الجَدْب . وقالوا : رَجُل دُعْبوب أى ضعيف . والدُّعْبوب : تَمْلٌ . ويقال : حَضَنَهُم بمعنى مَنَعهم . قال وقالت الأنصار يوم السَّقِيفة : أَنُحْضَن عن هذا .

وأنشد أبو على قال قال أنشدنى ابن الأعرابى لمحمد بن وُهَيْب :

اذا اخْتَلَجَتْ عينى رأَتْ من تُحِبُّه * فَدَامَ لعينى ما حَيِيتُ اخْتِلاجُها

وما ذُقْتُ كأْسًا مُذْ تَعلَّقنِى الهَوَى * فأشْرَبها إلا ودَمْـعِى مِزَاجُها

وأنشد لأبى بكر بن دريد :

لو أنَّ قَلْبًـا ذاب من كَمَدٍ * ما كان بَيْنَ ضـلوعه قَلْب

لو كُنْتَ صَبًّا أو تُسِرُّ هَوًى * لَعَلِمْتَ ما يتَجَـرَّع الصَّبُّ

يَهْوَى اقترابَك وهو قاتِـلُه * فَشِفاؤه وسَـقَامُه القُـرْب

وأنشد له :

صُدْغٌ كقادِمَة الخُطَّاف مُنْعَطِفٌ * فى وَجْنـةٍ يُجْتَنَى من صَحْنِها الوَرْدُ

لو ذاب من نَظَرٍ خَدٌّ لِرِقَّتِـه * لذاب من لَحْظِ عينى ذلك الخَـدُّ

---

(١) كذا بالأصل والذى وقع فى الشعر قبله عذرى العلاقة . (٢) البيت لابن هرمة كما فى اللسان مادة «دعب» وفى أشعار الهذليين أنه لجنوب أخت عمرو ذى الكلب راجع أشعار الهذليين طبع لندن ص ٢٤١ (٣) هكذا فى الأصل وعبارة اللسان : والدعبوب : الطريق المذلل الموطأ الواضح الذى يسلكه الناس ، قالت جنوب الهذلية : وكل قوم وان عزوا وان كثروا الخ اهـ .

[ضبط الأصمعى لبعض أسماء متشابهة]

قال أبو بكر بن دريد قال أبو هَفَّان المِهْزَمِىّ قال الأصمعى : السَّدُوس بفتح السين : الطَّيْلَسان . والسدوس بضم السين : اسم القبيلة . قال : وخالفه سيبويه فى الطيلسان بالضم وفى القبيلة بالفتح ، فحكيت ذلك لأحمد بن يحيى ، فقال : القول ما قال الأصمعى . ويقال : كل ما فى العرب عُدَس بضم العين وفتح الدال إلا عُدُس بن زيد فإنه بضمهما . وكل ما فى العرب سَدُوس بفتح السين إلا سُدُوس بن أَصْمَع فى طيئ . وكل ما فى العرب فُرَافِصة بضم الفاء إلا فَرَافِصة أبا نائلة امرأة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه . وكل ما فى العرب أَسْلَم بفتح الهمزة واللام إلا أَسْلُم بن الحاف ابن قُضَاعة . وكل ما فى العرب مِدْكان بكسر الميم إلا مَدْكان فى جَرْم بن رَبَّان .

[وصف العود للوليد بن مسعدة الفزارى]

قال وحدّثنا أبو سعيد السكرى قال : أُتِىَ عبدُ الملك بعُودٍ ، فقال للوليد بنِ مَسْعَدة الفَزَارى : ما هذا ؟ قال : عُودٌ يُشَقَّق ثم يرقَّق ثم يُعَلَّق عليه أوتار يُضْرَب بها فتَضْرِب الكرام برءوسها الحيطان ، وامرأته طالق إن كان أحد فى المجلس الا ويَعْلَمُ منه مثل ما أعلم ، أنت أولهم يا أمير المؤمنين .

* * *

وقال سَلَامة بن جَنْدل :

ليس بأَسْفَى ولا أَقْنَى ولا سَفِلٍ ✻ يُعْطَى دَواء قَفِىَّ السَّكْن مَرْبوب

الأَسْفَى : الخَفِيف الناصية ، والاسم منه السَّفَا مقصور ، والفعل سَفِىَ يَسْفَى سَفًا مثل عَمِى يَعْمَى عَمًى ، والسَّفَاء ممدود من الطَّيْش والجهل ، وكذلك من الخِفَّة .

[قصيدة كان ينسبها أبو عبيدة لعليل بن الحجاج الهجيمى]

قال أبو على قال أبو بكر بن دريد قال أبو عثمان الأشناندانى : كَثُر مُدَّعُو هذه القصيدة ، فما أدرى لمن هى ، وكان أبو عبيدة يصححها لعُلَيْل بن الحَجَّاج الهُجَيْمى ، وهى هذه :

أَمَّا القَطَاة فإنى سَوْفَ أَنْعَتُهَا ✻ نَعْتًا يوافق نَعْتِى بَعْضَ ما فيها

سَكَّاء مَخْطُومة فى رِيشِها طَرَقٌ ✻ سُودٌ قَوادِمُها صُفْر خَوَافِيها

تَنْتَاش صُفْرًا بأُخْوُص يُقَنِّتُها ✻ يَكَادُ يأْزِى على الدَّعْمُوص آزِيها

تَسْـــقِى رَذِيَّيْنِ بالمَوْماة قُوتَهُما * فى ثُغْـــرة النَّحْر من أَعْلَى تَرَاقِيهـا
كأنّ مَجْـــلُوزة قَـــدَّام جُؤْجُؤِها * أو جِرْوَ حَنْظَـــلة لم يَغْـــدُ وَاعِيها
تَشْتَقُّ فى حَيْثُ لم تَنْفُـــذْ مُصَعَّدة * ولم تُصَـــوِّب الى أدنى مَهَاوِيها
حتى اذا اسْتَأْنَيا الوقت واحْتُضِرت * تَجَرَّسَا الوَحْىَ منها عنـــد غاشيها
فَرَفَّعا من شُئُونٍ غَيْرِ زاكِيَـــةٍ * على لَدِيدَىْ أعالى المَهْـــدِ أَلْحِيها
مَـــدَّا اليها بأفْـــواهٍ مُيَسَّرة * صُـــعْرًا ليَسْتَنْزِلاها الرِّزْقَ مِنْ فيها
كأنَّها حِينَ مَـــدَّاها لِرِزْقِهما * طَـــلَى بَوَاطِنَها بالوَرْس طاليهـا
حَتْلَيْنِ رَضَّا رُفَاضَ القَيْضِ عن زَغَبٍ * وُرْقٍ أسافلُهـا بِيضٍ أعاليهـا
تَرَأَّدا حين قاما ثُمَّتَ اخْتَطَيَا * عـــلى نَحَائف مَيَّادٍ مجـائيها
تَكاد مِنْ لينها تَنْآد أَسْـــوُقُها * تَأَوُّد الرَّبْـــل لم تَعْرُد نَوَاميهـا
لا أَشْـــتكِى نَوْشـــةَ الأيَّام مِنْ وَرَقٍ * الا الى من أَرَى أن سوف يُشْكِيها
لِدَلْهَـــمٍ مَأْثُرات قد عُرِفْنَ له * إنَّ المـــآثِرَ مَعْـــدُودٌ مَساعيها
تَنْمِى به من بَـــنِى لَأْيٍ دَعائمُهـا * ومن جُمـــانة لم تَخْضَع سَـــوَارِيها
بَنَى له فى بيـــوت المَجْـــد والدُه * وليْسَ من ليس يَبْنِيها كَبَانِيها

مجلس فى لا جرم وتفسيرها والوجوه فيها

قال أبو على حدّثنـا أبو بكر محمد بن القاسم قال : ذهب بعضهم الى أن لا جَرَمَ أصله تبرئة ونفى بمنزلة لابُدَّ ولا محَالة، ثم نُقِـل عن التبرئة الى القَسَم كما قالوا : لَأَقُومَنَّ حقًّا يقينـا ، ثم قدموا حقًّا فجعـلوه قسما فقالوا : حَقًّا لَأَزُورَنَّك . وجَرَم اسم منصوب بلا على التبرئة، ولا خَبَرَ هاهنا للتبرئة إذ لم يُقْصَد لها، انمـا قُصِد للإقسام والحَلِف ، والى هـذا القول ذهب الفراء وأصحابه . وفيه جواب آخر وهو أن أصـله فعل ماض تحوّل عن طريق الفعل ومنع التصرف فلم يكن له مُسْـتَقْبل ولا دائمٌ ولا مصـدر، وجُعِل مع لا قَسَما، وتركت الميم على فتحها الذى كان لهـا فى معنى المضى، وان كان الحرف منقولا الى الأداة، كما نقلوا حاشى وهو فعـل ماض مستقبله يُحَاشِى ودائمه مُحَاشٍ ومصـدره مُحَاشاة من باب الأفعال الى باب الأدوات لَمَّـا أزالوه عن التصرف، فقالوا : قام القوم حاشا عَبْدِ الله

خفضوا به، ولو كان فعلا ما عَمِل خَفْضا وأبقوا عليه لفظ الفعل الماضى، وكما نقلوا ليس وأصلها الفعل الماضى عن أصلها الى سبيل الأدوات لما أزالوها عن التصرف وخروج المصدر منها فأقرُّوا آخرَها على أمرها الأوّل . فان قيل : كيف تكون لا جرم قَسَما وليس فيه مُعَظَّم يُقْسَم به، قيل : إن الأقسام عند العرب على ضربين أحدهما يقع الإقسام فيه بمن يَجِلُّ قَدْرُه وتعلو منزلته، وهو الذى تسبق اليه الأفهام، ويستعمل فى أكثر الكلام حين يقول القائل : وإلهى لأفعلنَّ ذلك، وكقيل العرب فى الجاهلية : والرَّحِم لأَقْصِدَنَّك، والعَشيرةِ لاقْضِيَنَّ حقك، وهو مكروه عند أهل العلم، لأنه لا ينبغى أن يَحْلِف حالف بغير الله تبارك وتعالى . والضرب الثانى أن يعتقد الحالف اليمينَ والحَلِف بالعظيم عندهم الكبير فى نفسه، ثم يأتى ببدل منه، فيقول : حَلِفًا صادقًا لأَزُورنَّك، فجعل حلفا صادقا مكتفى به عن المحلوف به عند وضوح المعنى، ولو أظهر اليمين ولم يَبْنِ على الاكتفاء والاختصار لقال: أَحْلِف بالله حَلِفًا صادقا، ولهذه العلة أَقْسَمُوا بالحَقِّ، فقالوا : حقا لأفعلن ذلك اذ جعلوه عوضا من اليمين، وحَملوا على الحق ألفاظا معناهم فيها كمعناه، فقالوا : كَلَّا لأُطِيعَنَّك، يعنون حقا . وقالت الفُصَحاء : جَيْرِ لأفعلنَّ، وعَوْضُ لأَجْلِسَنَّ، يعنون بتينك اللفظتين حقا، فاحْتَمَلَتْ لاجرم من معنى الإقسام مثلَ الذى احتملت كَلَّا وجَيْرِ وعَوْضُ . قال أعشى بكر :

رَضِيعَىْ لِبانِ ثَدْيِ ام تَحالَفا * بأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّق

وقال الآخر (١) .

وقُلْنَ على الفِرْدَوْسِ أَوَّل مَشْرَب * أَجَلْ جَيْرِ إن كانت أُبِيحَتْ دَعَاثِرُهْ

قال أبو بكر : دعاثره يعنى حِياضا . وقال الكميت :

أَ أسلم ما تأْتِى به مِنْ عَداوةٍ * وبُغْضٍ لهم لا جير بل هو أَشْجَب

وقال الآخر :

ان الذى أغناك يُغْنِينِى جَيْرْ * واللهُ نَفَّاح اليَدَيْنِ بالخَيْرْ

وقال الآخر :

جامعُ قد أَسْمَعْتَ من تَدْعُو جَيْرْ * ولا يُنادِى جامعٌ الى خَيْرْ

وقال الآخر :

كَلَّا زَعَمْتُمْ بأنَّا لا نُقَاتِلُكم * إنَّا لأمثالكم يا قَوْمَنا قُتُل

(١) هو المضرس بن ربعى، راجع شواهد مغنى اللبيب طبع مطبعة محمد افندى مصطفى ص ١٢٥ .

أراد : حَقًّا زعمتم . والراء فى جير مكسورة، والضاد فى عوض مضمومة . ومن العرب من يغيِّر لفظ جَرَم مع لاخاصة لتحوّلها عن لفظ الفعل، فيقول بعضهم : لا جُرْمَ بضم الجيم وسكون الراء، و يقول آخرون : لاجَرَ بفتح الجيم والراء وحذف الميم، و يقال : لا ذا جَرَم ولا ذَاجَرَ بغير ميم، ولا أن ذا جَرَم ولا عَنْ ذا جَرَم، ومعنى اللغات كلها حَقًّا . وأنشد الفراء هذا البيت و بعض الثانى :

لأَهْدِرَنَّ اليومَ هَدْرًا صادِقا * هَدْرَ المُغَنَّى ذى الشَّقَاشِقِ اللَّهِمّْ

* إنَّ كِلَابًا والِدِى لاذا جَرَمْ *

قال أبو على وحدثنا أبو بكر قال قال يحيى بن خالد : الحَسُود عَدُوٌّ مَهِين، لايُدْرِك وِتْرَه، ولا يَنَال ثَأْرَه الا بالمُنَى .

قال وقال عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف الثقفى : إنه ليس من أحد الا وهو يعرف عَيْبَ نفسه ، فَعِبْ نَفْسَك . قال : أعْفِنى يا أمير المؤمنين . قال : لَتَفْعَلَنَّ . قال . أنا لَجُوجٌ حَسُود حَقُود . فقال عبد الملك : ما فى الشيطان شىء شرٌّ مما ذكرتَ .

وقال الأحنف بن قيس : المَلُول ليس له وَفَاء، والكَذَّاب ليست له حِيلَة، والحَسُود ليست له راحة، والبخيل ليست له مُرُوءة، ولا يَسُودُ سَيِّئُ الخُلُق .

قال : وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”رَأْسُ العقل الإيمانُ بالله والتودُّدُ الى الناس وماالاسْتَغْنَى رجل استبدَّ برأيه ولم يَهْلِك أحدٌ عن مَشُورة واذا أراد الله بعبد هَلَكَةً كان أوَّلَ ما يُهْلِكه رَأْيُه“ .

وكان يقال : لا ظَهِير أَوْثَق من المَشُورة .

قال : وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الحَزْم ؟ فقال : ”أن تستشير ذا الرَّأْى وتُطِيعَ أمره“ .

وقال أعرابى : ما غُبِنْتُ قَطُّ حتى يُغْبَن قومى . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : إنى لا أفعل شيئا حتى أشاورهم .

قال : وأنشدنا محمد بن يزيد النحوى فى الحُمَّى :

تَفَاءَلْتُ باسم سواها لها * كأنْ لَيْس لى باسْمِها خِبْرَه

فَطَـــوْرًا أُلَقِّبها سُخْـــنةً * وطَـوْرا ألقبهـا فَـتْرَه
ويَرْبُو الطِّحال اذا ماأَكَلْت * فَيَعْلو الـتَّرائبَ والصَّـدْره
كانى اذا رُحْتُ من منزلى * لَبِسْتُ الثِّياب على زُكْره

* * *

قال : وحدثنا الزبير قال حدثنا ابراهيم بن منذر عن مطرف بن عبد الله بن خويلد الهُذَلى عن أبيه عن جده قال : بَيْنَا أنا وأبى نطوف بالبيت، اذا نحن بعجوز كبيرة تضرب أحد لَحْيَيْها بالآخر، أقبح عجوز رأيتُها قطُّ، فقال لى : يابنى، أتعرف هذه ؟ قلت : ومن هذه؟ قال : هذه التى يقول فيها الشاعر :

سَـــلَام لَيْتَ لِسانًا تَنْطِقين به * قَبْلَ الذى نَالَنِى مِنْ قِيله قُطِعا
أدعو الى هجـرها قلبى فيتبعُنِى * حتى اذا قلت هذا صادق نَزَعا
يَلُومنى فيـــك أقوام أجالسهم * فما أبالى أطَارَ اللَّوْمُ أم وَقَعا

قال وأنشدنا الزبير :

فلو كان يَسْتَغْنِى عن الشُّكْر ماجد * لِعِـزَّةِ مَجْدٍ أو عُـــلُوِّ مكان
لما أمَرَ اللهُ العبادَ بشُكْـرِه * فقال اشْـكُرُوا لى أيُّها الثَّقَلان

قال وأنشدنى الرياشى قال : أنشدنيها تمـام للحارث بن عباس بن مرداس السُّلَمى يوصى ابنَـه رضى الله تعالى عنهما :

احْفَظْ بُنَىَّ وصـــيَّةً أُوصيكها * ان كُنْتَ تُؤْمِن بالكتاب المُنْزَل
أكرِم خَلِيل أبيـــك حَيْثُ لَقِيتَه * ولقد عَقَقْتَ أباك ان لم تَفْعَـــل
والجـارَ أكرم جارَ بَيْتِـــك ما دنا * حتى يبين ثَوَاء لم فى المَـــنْزل
والضَّيْفَ إنَّ له عليك وَسِـيلةً * لا يَتْرُكَنَّك ضَحْكةً للـــتُّزَّل
ورَفِـيق رَحْلك لاتُجَهِّـــل إنما * جَهْـلُ الرَّفيق عـــلى الرفيق النَّيْطَل
واشْغَبْ بخَصْمك انَّ خصمك مِشْغَبٌ * واذا عَلَوْتَ عـلى الخُصوم فأجْمِـل
واسْـتَوْصِ خـيرا بالعشـيرة كلها * ما حَمَّلوك من المَثَاقل فاحْمِـل
يَصِـــلُوا جناحـــك يا بُنَىَّ وانما * يَعْلُو الشَّواهقَ ذو الجَناح الأجْـدَل
ان امْرَأً لا يَسْـتَعِدُّ لِرحاله * لِرجالِ آخَرَ غَـيْرِه كالأعْزَل

واذا أتتـــك عِصَابةٌ فى شُـــبْهةٍ * يتحاكمون اليـــك يوما فاعْدِلِ
واصْـــدُقْ اذا حَـــدَّثْتَ يوما معشرا * واذا عَيِيتَ بأصْـــلِ عِـــلْمٍ فاسأل
وَذَرِ المَجَاهـــلَ إنها مَشْـــومة * وإنِ امرؤٌ أَهْـــدَى النَّصيحة فاقْبَـــل

قال أبو بكر : وحدثنا أبو زيد عمر بن شَبَّة قال حدثنى الباهلى قال حدثنا الهيثم بن عدى عن مجالد وابن عياش عن الشعبى قال : لمـا انْهَزَم ابن الأشْعَث ضاقت بى الأرض ، وكَرِهْتُ ترك عيالى وَوَلَدى ، فَلقيت يزيدَ بن مُسْلِم ، وكان لى صديقا ، وكانت الصداقة تنفع عنده ، فقلت له : قد عَرَفْت الحال بينى و بينـك ، وقد صِرْنا الى ما ترى . قال : يا أبا عمرو ، ان الحجـاج لا يُكْذَب ولا يُعْوَى ولا يُذْبَح ، ولكن قُمْ بين يديه وأقِرَّ بذَنْبِك واسْتَشْهِدْنى على ما شئت . قال : فوالله ما شَعَر الحجـاج الا وأنا ماثِلٌ بين يديه ، فقال : أعامر ؟ قلت : نعم ، أصلح الله الأمير . قال : ألم أقْـدَم العِراقَ فاحْسَنْتُ اليك وأَدْنَيْتُك وأَوْفَدْتُك على أمير المؤمنين واسْتَشَرْتُك؟ قلت : بلى أيها الأمير . قال : فأين كنت من هذه الفتنة؟ قلت : اسْتَشْعَرْنا الخوفَ ، واكْتَحَلْنا السَّهَرَ ، وأَحْزَنَ بنا المَنْزِلُ ، وأَوْحَش بنا الجَنابُ ، وفَقَدْنا صالحَ الإخوان ، وشَمِلَتْنا فتنةٌ لم نكن فيها بَرَرَةً أتْقياء ، ولا فَجَرَة أَقْوِياء . وهذا يزيد ابن أبى مسلم قد كان يعرف عُذْرِى ، وكنت أكتب اليه . فقال : صَدَق ، أصلح الله الأمير ، قد كان يكتب الىّ بعذره ويخبرنى بحاله . فقال الحجاج : فهذا الأحمق ضَرَبَنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب . كان وكان ، انْصَرِفْ الى أهلك راشدا .

وأنشدنا محمد بن يزيد النحوى قال أنشدنا التوزى لغلام يقوله فى مؤدّبه ، وكان أُقْعِد ، فقال :

فَرِحَ المُقْعَـــد لمـا أُقْعِدا * فَرْحةً لله حَتَّى سَجَـــدا
فسألنـاه لمـاذا قال لى * انى كنت زمانا مُفْسِـــدا
أشترى الثوب فلا يَقْطَعُنى * فَهُوَ اليـــوم قَمِيص وِردا

قال وأنشدنى الرياشى للربيع بن ضبع الفزارى هذه الأبيات :

ألا أَبْلِـغْ بَنِىَّ بَنِى رُبَيْـــع * فانْذَالُ البَنِين لكم فِداء
بأنى قد كَبِرْت ورَقَّ عَظْمى * فـلا يَشْغَلْكم عـنى النساء
وان كَنَائِنِى لَنساء صِـــدْقٍ * وما أَشْكُو بَنِىَّ وما أساءوا

اذا جاء الشـتاء فَأَدْفِئونى * فإن الشيخ يُهْرِمه الشتاء
وأَمَّا حِـينَ يَذْهَبُ كلُّ قُرٍّ * فَسِرْبالٌ خفيف أو رداء
إذا عاش الفتى مائتين عاما * فقـد أَوْدَى المَسَرَّة والفَتَاء (١)

قال أبو بكر : ولبعض المحدثين شبيه بهذا :

لا تَدَعْ لَذَّةَ يَوْمٍ لِغَـدٍ * وبِـعِ الغَىَّ بتعجيل الرَّشَدْ
إنهـا إن أُخِّرَتْ عن وقتها * باخْتِداع النفس عنها لم تَعُدْ
فاشْغَل النفسَ بها عن شُغْلِها * لا تُفَكِّر فى حَمِـيم وَوَلَد
أَوَما خُبِّرْتَ عَمَّـا قِيـل فى * مَثَـلٍ باقٍ على مَرِّ الأَبد
إنمـا دُنْيَاى نفسى فاذا * تَلِفَتْ نفسى فلا عاش أحد

قال أبو بكر : وسألت بندار بن لُدَّة عن قول عمر : يُشْئِز، فقال لى : يُزْعِج، وأنشدنى :

أهَاجَك العارِضُ الوَمِيضُ * نَعَمْ فقلـبى له مَهِيض
يُشْئِزُنى الشَّوق عن فِراشِى * وكيف يَشْتاق من يَبِيض

ومعنى يَبِيض يُقِيم فلا يَبْرَح، يقال : باض فلان بالمكان وأَلَبَّ به وأَرَبَّ به اذا لَزِمه فلا يَبْرَحُه . ومعنى البيت كيف يشتاق من لا يَتَهَيَّأ له أن يبرح مَوْضِعَه ويَقْصِد وَطَنَ محبوبه ! .

قال : وحدّثنا محمد بن يزيد قال : قيل للأحنف بن قيس : أىُّ المجالس أَطْيَب؟ قال : ما سافَرَ فيه البصرُ واتَّدَعَ فيه البَدَن .

وقيل للمأمون : ما أَحْسَنُ الأماكن؟ قال : ما بَعُدَ فيه نَظَرُك وَوَقَف استحسانك عليه . فقيل له : فأىُّ الأشياء أحسن؟ فقال : أحسن الأشياء ما نَظَر اليه الناس .

قال وقال محمد بن يزيد : حدّثنى بعض أولاد العجم قال : قيل لشُرَّاعة بن الزَّنْدَبُوذ : أىُّ المواضع أطيب؟ قال ما اجْتَمَع حُسْنُه، وتَوَسَّطَتْ مسافةُ النظر اليه . وقيل له : أى أوقات الشُّرْب أطيب؟ قال : نَشَاط على غِبٍّ . قيل له : فاذا استوى ذلك؟ قال : لا تَقُوم الخَلافة بضحكات الصَّبُوح . قيل له : فَمَنْ أَمْتَعُ الجلساء؟ قال : الذى اذا عَجَّبْتَه عَجِب، واذا غَنَّيْتَ طَرِب، واذا أَعْطِي شَرِب، قيل

(١) ويروى فقد ذهب المروءة والفتاء، كذا في هامش الأصل .

له : فأى المواضع أطيب للشرب؟ قال : اذا لم تكن شمس مُحْرِقة ولا مَطَرٌ مُغْرِق، فالشرب على وجه السماء .

وأنشدنا الزبير لعبد الرحمن بن حسان فى آل سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنهم :

أعِفَّاءُ تَحْسَبُهُمْ مُلْحِيا * ءِ مَرْضَى تَطَاوَل أَسْقَامُها
يَهُونُ عليهم اذا يَغْضَبُو * نَ سُخْطُ العُداة وإرْغامُها
ورَتْقُ الفُتُوقِ وفَتْقُ الرُّتوق * ونَقْضُ الأمـور وإبرامُها

قال وأخبرنا الزبير قال حدّثنا عمر بن عثمان قال حدّثنى رجل من أهل مَنْبِج قال: قَدِم علينا الحَكَمُ آبن المُطَّلِب بن عبـد الله بن المطلب بن حَنْطَب ولا مال معـه، فاغنانا كلّنا . فقلنا : كيف ذلك؟ قال : عَلَّمَنا مَكارِمَ الأخلاق فعاد غِنَيُنا على فَقيرنا فَغَنِينا كُلُّنا .

قال عمر بن عثمان قال الرائجى يرثى الحكم بن المطلب :

ماذا بِمَنْبِجَ لو تَنْبِشْ مَقَابِرَهـا * من التَّهدُّم بالمعروف والكرم
سالوا عن المجد والمعروف مافَعَلا * فقلت إنهـما ماتا مَعَ الحَكَم

قال وحدّثنا الزبير قال حدّثنا آبن عياش السعدى عن أبيه قال : رأيت جارية من العرب وضيئة أعجبتنى، فماشَيْتُها الى مَظَلَّتها، فقالت لى عجوز بفناء المَظَلَّة : مالك ولهذا الغَزَال النَّجْدِى؟ والله لاتَحْلَى منه بشىء . فقالت الجارية : دَعِيه يا أُمَّاه يكن كما قال ذو الرمة :

وإن لم يكن إلا مُعَرَّس ساعةٍ * قَلِيـلٌ فانّى نافِـعٌ لى قَلِيلُها

قال وحدّثنا أبو العباس عن آبن عائشة قال : وقف وَفْدٌ بباب عمر بن عبد العزيز، فأبطأ عليهم إذْنُه، فقال أحدهم : ما يَصْلُح هذا أن يكون عبدا للحجاج، فَنَمَت الكلمة اليه، فأذن لهم فدخلوا، فقال : أيكم القائل كذا وكذا؟ قال : فأَرَمُّوا، فقال : حَقًّا لتقولُنَّ، فقال رجل من القوم : أنا قلتها وما ظننتها تَبْلُغ ما بَلَغَتْ . قال : فان الله يغفر لك، كيف ذكرت الحجاج وما كانت له دنيا ولا آخرة! فهلا فَضَّلْت عَلَيَّ زيادا الذى جَمَع لهم كما تَجْمَع الذَّرَّة وحاطَهُم كما تَحُوط الأمُّ البَرَّة

قال وحدّثنا محمد بن يزيد قال : خرج سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رض ، الله تعالى عنهم الى منتزه له ، وحَمَل معه بناته، فاتبعه أَشْعَب، فلم يَجِدْ مَسْلَكًا للدخول عليه، فتَسوَّر الجدارَ، فقال

له وقد بصُر به : يا أشعب ، اتَّقِ الله بَنَاتِي بَناتي . فقال أشعب : لقد عَلِمْتَ مالَنَا فى بَنَاتِك منْ حَقّ و إنَّك لَتَعْلَمُ ما نُرِيد . قال : فَضَحِك منه وأدخله .

قال وحدّثنى محمد بن يزيد قال حدّثنى على بن عبد الله قال : دخل قوم على عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ، فكلَّمهم فأغلظوا له ، فغضب . فقال له ابنهُ عبدُ الملك : وما يُغْضِبُك يا أمير المؤمنين و إنما يَحْبِسُك(١) أن تأمر فتطاع؟ فقال : أَمَا غَضِبْتَ أنت يا عبد الملك؟ قال : بلى والله ، ولكن ما ينفعنى حِلْمِى اذا لم أَرُدَّه على غَضَبى فيَسكُن ، وأنشد :

وما الحِلْمُ إلا رَدُّكَ الغَيْظَ فى الحشا * وصَفْحُك بالمعروف والصَّدْرُ واغِرُ
تَرَى المَجْد والأحلام فينا فما تَرَى * سَفِيها هَفَا إلَّا وآخَرُ زاجِر

قال وأنشدنا الزبير قال أنشدنى عمى مصعب بن عبد الله قال الزبير وأنشدنيه سعيد بن عمر الزبيرى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد قال قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضى الله تعالى عنهم هذه الأبيات :

تَغَلْغَل حُبُّ عَثْمة فى فؤادى * وباديه مع الخافى يَسِيرُ
تغلغل حيث لم يَبْلُغ شراب * ولا حُزْن ولم يبلغ سُرور
صَدَعْت القلبَ ثم ذَرَرْت فيه * هَواكِ فَلِيم فالْتَأم الفُطُور
أكاد اذا ذَكَرْتُ العهدَ منها * أطِير لو أنَّ إنساناً يطير
وأنفَدَ قادِحاكِ سوادَ قلبى * فأنْتِ علىّ ما عِشْنا أمير

قال وأنشدنا الزبير :

لا تَشْتُمَنَّ امرأً من أن تكون له * أُمٌّ من الرُّوم أو صَفْراء دَعْجاء
فَرُبَّ مُعْرِبةٍ ليست بُمُنْجِبة * ورُبَّما أنْجَبَتْ للفَحْل عَجْماء
و إنما أُمَّهات القوم أَوْعِيةٌ * مُسْتَوْدَعات وللأحساب آباء

قال وأنشدنى الزبير قال : أنشدنى عمّى لابن الحر : [illegible]

إن تَكُ أُمّى من نساء أصابَها * سِباءُ القَنا والمُرْهَفاتُ الصَّفائح
فَتَبًّا لفَضْل الحُرِّ إن لم أَنَلْ به * كرائمَ أبْنَاء النساء الصَّرائح

(١) كذا فى الأصل ولعله محرف عن يحسبك بتقديم السين على الموحدة أى يكفيك من قولهم أحسبنى الشىء اى كفانى .

[كتاب يزيد بن عبد الملك الى هشام الخليفة بعده يعاتبه وقد بلغه أنه يتمنى موته]

قال وحدّثنا الرياشى قال : كتب يزيد بن عبـد الملك الى هشام ، وكان الخليفةَ بعده ، هذه الأبيـات :

تَمَـنَّى رجالٌ أن أموت وإنْ أَمُتْ * فَتِلْك سبيل لَسْتُ فيها بأَوْحَـد
فـما عَيْشُ من يرجو رَدَاى بضائرى * وما عيش من يرجو ردای بمُخْـلَد
فَقُلْ للذى يَبْغِى خِلافَ الذى مَضَى * تَجَهَّـز لأخرى مِثْلِهـا فكأنْ قَـد

قال : فكتب اليه هشام

ومن لا يُغَمِّضْ عَيْنَه عن صَديقه * وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهْوَ عاتب
ومَنْ يَتَتَبَّـع جاهدًا كلَّ عَثْرَةٍ * يَجِدْها ولا يَسْلَمْ له الدَّهْرَ صاحب

قال فكتب اليه يزيد :

لَعَمْـرُك(١) ما أدرى وإنِّى لَأَوْجَلُ * على أَيِّنَـا تَعْـدُو المَنِيَّـةُ أَوَّل
وإنِّى على أَشْـياء منـك تَرِيبُنِى * قديمـا لَذُو صفح على ذاك مُجْمِل
اذا سُؤْتَنِى يوما صَفَحْتُ الى غدٍ * لِيَعْقُبَ يوما منـك آخرُ مُقْبِـل
وإنى أخوك الدائم العهد لم أَحُلْ * إنَ ابْزَاك خَصْمٌ(٢) أو نَبَـابِكَ مَنْزِل
أُحارِبَ من حارَبْتَ من ذى عداوة * وأَحْبِس مالى ان غَرِمْتَ فأعْقِل
سَتُقْطَع فى الدنيـا اذا ما قَطَعْتَنى * يَمِينُـك فانْظُرْ أىَّ كَفٍّ تَبَـدّل
وكُنْتُ اذا ما صاحبٌ رام ظِنَّتِى * وبَدَّلَ سُوءًا بالذى كُنْتُ أفعـل
قَلَبْتُ له ظَهْرَ المِجَنِّ ولم أَدُمْ * على ذاك إلا رَيْثَ ما أَتَحَـوَّل
وفى الناس ان رَثَّتْ حبالك واصل * وفى الأرض عَنْ دار القِلَى مُتَحَوَّل
اذا أنت لم تُنْصِف أخاك وَجَدْتَه * على طَرَف الهِجْران إن كان يَعْقِل

---

(١) بهامش الأصل يروى لعمرى ، وهذا الشعر لمعن بن أوس .

(٢) أبزاك خصم : غلبـك وقهرك ، ومنه قول أبى طالب يعاتب قريشا فى أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمدحه :

كذبتم وحق الله يبزى محمد * ولما نطاعن دونه ونناضـل

كذا فى اللسان :

ويَرْكَبُ حَدَّ السَّيْف من أن تَضيمه * اذا لم يكن عن شَفْرةِ السَّيْفِ مَزْحَل (١)

قال أبو على : وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا الزبير بن بكار :

وأبْثَثْتُ عمرًا بعضَ ما فى جَوَانحى * وجَرَّعْتُــه من مُرِّ ما أتجرَّع

ولا بُدَّ من شكوى الى ذى حَفِيظة * اذا جَعَلَتْ أسرارُ نفسى تَطَلَّــع

قال : وأنشدنا أيضا :

ألا يا خليلَ النفس هل أنت قائل * لزينب حاجاتى الــتى أنا هائب

وما بِىَ عِىٌّ أن أقول بحاجتى * ولكنَّما يَمْشِى عَــلَىَّ الرَّقائب

بَلَى فاسْلَمِى يا دارَ زَيْنَبَ وانْعَمِى * صَباحا اذا ما كان سَــلْمٌ مُقارِب

فأمَّا سَــلامٌ والحُرُوبُ مكانهــا * فلا كَيْفَ يُهْدِى بالسلام المُحارِب

قال أبو على : وأنشدنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال : أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب لبعضهم :

إنِّى وانَّ بَنِى عَمِّى لَفِى خُــلُقٍ * عَمًّا قليل أراه سوف ينكشف

يُزَمِّــلون جَنين البُغْض بينهــمُ * والضِّغْن أسْوَد أو فى وجهه كَلَف

اذا لَقِيناهُــمُ تَمَّتْ عيونهــمُ * والعَيْن تُخْبِر ما فى القلب أو تَصف

(١) قال ثعلب : اشتكى الوليد بن عبد الملك ، وبلغه قوارص وتقريض من سليمان بن عبد الملك وتمن لموته لما له من العهد بعده ، فكتب اليه يعتب عليه و فى آخر كتابه :

تمنى رجال أن أمــوت وان أمت * فتلك طريق لست فيها بأوحــد

وقد علمــوا لو ينفع العلم عنــدهم * لئن مت ما الداعى على بمخــلد

منيتــه تجرى لوقت وحتفــه * سيلحقه يوما عــلى غير موعــد

فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى * تهيأ لأخرى مثلها فكأن قــد

فكتب اليــه سليمان : قد فهمت ما كتب به أمير المؤمنين ، فوالله لئن كنت تمنيت ذلك تأميــلا لما يخطر فى النفس ، إنى لأوّل لاحق به وأول منعىٍّ الى أهله ، فعلام أتمنى مالا يلبث من تمناه إلا ريث مايحل السفر بمنزل ثم يظعنون عنه ! وقد بلغ أمير المؤمنين ما لم يظهــر على لسانى ولم ير فى وجهى ، ومتى سمع من أهل النميمة ومن لا روية له أسرع ذاك فى فساد النيات والقطع بين ذوى الأرحام ، وكتب فى آخر كتابه :

ومن يتتبــع جاهدا كل عثرة * يصبها ولا يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد : قد فهم أمير المؤمنين كتابك ، فما أحسن ما اعتذرت به وجذوت عليــه ! وأنت الصادق فى المقال ، الكامل فى الفعال ؛ وما شىء أشبه بك من اعتذارك ، وما شىء أبعد منك من الذى قيل فيك ، والسلام . روى هذا ثعلب فى المجالسات ، كذا بهامش الأصل ملحقا بهذا الموضع .

[سؤال مسلمة بن عبد الملك لنصيب الشاعر وما أجاب به]

قال وحدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنى ابن عائشة قال قال مسلمة بن عبد الملك لنُصَيْب : أَمَدَحْتَ فلانا ؟ يعنى رجلا من أهل بيته . قال له : قد كان ذاك . قال : أوَحَرَمَك؟ قال : قد كان ذاك . قال : أفلا هَجَوْتَه؟ قال : لم أفعل . قال : ولِمَ؟ قال : لأنى كنت أحَقَّ بالهجاء منه ، اذ وَضَعْتُ مدحى فى مثله ؛ فأعْجَبَ مسلمةَ قولُه ، فقال له : سَلْنِى . قال : لا أفعل . قال : ولِمَ؟ قال : لأن يَدَك بالعطاء أسْمَحُ منى بالسؤال ، فأعطاه ألفَ دينار .

قال : وأنشدنا محمد بن يزيد لشيخ من الأزد يقوله فى محمد بن يحيى بن خالد وقد امتدحه فحَرَمه

أَقِلْنِى يا مُحَمَّـدُ بنَ يَحْيى * مقالا لم أكن فيه صَدُوقا
جعلتُك فيه ذا مجد و بأس * وتلك مقالة بك لن تَليقا
فَلَسْتَ بضائر أبدًا عَدُوًّا * ولست بنافعٍ أبدا صَدِيقا

قال وأنشدنا أيضا :

مِنَ الناس مَنْ يَغْشَى الأباعدَ نَفْعُه * ويَشْـقَى به حَتَّى المماتِ أقاربُهْ
فان كان خيرا فالبعيد يناله * وإن كان شرا فابْنُ عمك صاحبُه

قال وأنشدنا محمد بن يزيد :

سقانى هُـذَيْلٌ من شراب كأنَّه * دَمُ الجَوْف قد يُدْنِى الحليمَ من الجهل
حَطَطْت عليـه وافر العقل صاحيا * فما زال بالتقريب والأهـل والسهل
وما زِلْتُ أُسْـقَى شربةً بعـد شربة * من الراح حتى أُبْتُ مُخْتَلَس العقـل
سـقانى ثلاثا واثنتين وأربعـا * فخَرَّتْنَ ما بين الذُّؤابة والنَّعْـل
فَرُحْتُ كأنّ الأرضَ أَرْكُل مَتْنَهـا * اذا هى دارت بى فَيَعْـدِلُها رَكْلى
كأنّى ونَفْسى بين دار ابن سـالم * ودار غريب فى أَفَاحِيصَ أوْ وَحْل

[ما وقع لكثير عزة مع جميل بن معمر وقد التقيا]

قال وحدّثنا أبو زيد عمر بن شَـبَّة قال حدّثنا الباهلى عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العـلاء قال حدّثنى أدهم التميمى قال : لقيت كُثَيِّر عَزَّة ، فقال لى : لقينى جميـل بن معمر فى موضعك هـذا ، فقال لى : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند أبى الحبيبة والى الحبيبة ، أعْنِى أبا بُثَيْنة وأعْنِى عَزَّة .

فقال لى : ان لى اليك حاجة ولا بد من قضائها : تَرْجع الى بُثَيْنة وتُواعدها لى مَوْعِدا . قلت : إنّى أستحى من أبيها وعَهْدى به آنفا . قال : فلا بد من ذلك . قلت : مَتَى أُحْدِثُ عَهْدك بها ؟ قال : بالدَّوْم وهم يَرْحَضُون ثيابا . قال : فرجعت الى أبيها عَوْدى على بَدْئى، فقال : ما رَدَّك يابْنَ أخى؟ قال : قلت أبياتا عَرَضَتْ لى أحببت أن أُنْشِدَكها قال : وما هى؟ قلت :

وقُلْتُ لها يا عَزَّ أرسل صاحبى * على نَأْى دارٍ والرَّسُول مُوَكَّل
بأن تجعلى بينى و بينك مَوْعِدا * وأن تأمرينى بالذى فيه أفعل
وآخرُ عهد منك يوم لَقِيتِنى * بأسفل وادى الدَّوْم والثَّوْبُ يُغْسَل

قال : فَضَرَبَتْ بثينة الجدار، وقالت : اخسأ اخسأ، فقال لها الشيخ : مَهْيَمْ يا بثينة ؟ فقالت : كلب يأتينا اذا نَوَّمَ الناسُ من وراء الرابية . قال : فرجعت الى جميل فأخبرتُه أنها قد وَعَدَتْه اذا نَوَّم الناس من وراء الرابية .

قال وحدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن يحيى قال حدثنى رجل من أهل اليمامة قال : كان لنا غلام زِنْجِى أعجمى قد نَطَق وفَهِم شيئا من العربية، وكان يسوق ناضحا لنا و يرتجز بكلام لا نَتَبَيَّنه، فمرّ بنا رجل فسمع كلامَه وأَصْغَى اليه، فقلنا له : أتفهم ما يقول ؟ قال : نعم ينشد :

فقلت لها أنّى اهتديتِ لفِتْية * أناخوا بجَعْجاعٍ قَلائص سُهَّما
فقالت كذاك العاشقون ومن يَخَفْ * عيونَ الأعادى يَجْعَلِ اللَّيل سُلَّما

قال : فكنا نتفهمه بعد فنردّ لفظه الى ترجمتنا .

قال وأنشدنا محمد بن يزيد لأعرابى يقوله فى ابنه :

أَلَا يا سُمَيَّةُ شُبِّى الوَقُودا * لَعَلَّ الليالى تُؤَدِّى يزيدا
فنفسى فداؤك من غائب * اذا ما المَسارِحُ أضحت جَلِيدا
كفانى الذى كنتُ أسْعَى له * فكان أبًا لى وكُنْتُ الوليدا

[حديث أبى جعفر المنصور مع رجل من أهل الشام]

قال وحدثنا عمر بن شبة قال حدثنى يحيى قال حدثنى رجل من ولد خزيمة بن يحيى قال : قدم رجل من أهل الشأم من بنى مُرَّة على أبى جعفر المنصور، فتكلم معه كلاما حَسَنا، فقال له أبو جعفر : حاجَتك؟ فقال : يُبْقِيك الله يا أمير المؤمنين . قال : حاجتك فإنه ليس كلَّ ساعة يُمْكِنُك

هـذا ولا تؤمر به ؟ فقال : والله ما أَسْتَقْصِر عُمْرَك ، ولا أخاف بُخْلَك ، ولا أَغْتَنِم مالَك ، وإنَّ سؤالك لَشَرف ، وإن عطاءك لَزَيْن ، وما بامرئٍ بَذَل وَجْهَه اليك نَقْصٌ ولا شَيْن ؛ فقال أبو جعفر : يا ربيع ، لا ينصرف من مقامه إلا بمائة ألف درهم ، فخَمِلت معه .

* * *

قال وأنشدنا محمد بن يزيد :

كُلُّ يوم يَمُـرُّ يأْخُـذُ بعضى * يأخذ الأطْيَبَيْن مِنِّى ويَمْضِى
قـد تَلَذَّذْتِ بالمعاصى قديمـا * نَفْسِ كُفِّى ليس المعاصى بفَرْض

قال وأنشدنا أيضا :

كُنْ حَيِيًّا اذا خَـلَوْتَ بذنب * واحْـذَرِ السُّخْط مِنْ عَلِيٍّ مَجِيـد
وَيْـكَ بارزْتَ من يَرَاك عُتُـوًّا * وتَوَارَيْت عن عيون العبيـد
وبِحِـلْم الإله عُـدْتَ الى الذنـ * ـب ولم تَخْشَ غِبَّ يـوم الوعيـد
أقَـرَأتَ القرآن أم لَسْتَ تَدْرِى * أن ذا العَرْش دُونَ حَبْـل الوريد

انتهى ما أملاه أبو على من النوادر زائدا على ما فى الأمالى صِلَةً لها بحمد الله وعونه ، وآخرُ ما جمعت من ذلك قصيدةٌ رُثِىَ بها أبو بكر بن دريد لبعض البغداديين يقولها فيه تَغَمَّده الله برحمته ورضوانه وهى هذه :

يَلُوم عـلى فَـرْط الأَسَى ويُفَنِّـد * خَـلِىٌّ من الوَجْـد الذى يتجدّد
ويُكْبِر أن يَنْهَلَّ دمعٌ أراقـه * تَضَـرُّم نار فى الحَشَا ليس تَخْمُـد
ويَسْتَصْغِرُ الرُّزْءَ الذى جَلَّ قَـدْرُه * وكُلُّ امْرِئٍ باكٍ عليـه ومُسْـعِد
حَرَامٌ على الأجفان أن تَرِدَ الكَرَى * أجَـلْ مالَهَا الا التَّسَـهُّدَ مَـوْرِد
وبَسْـلٌ على المحزون أن يَقْبَل الأسَى * بَـلَى حَظُّه حُزْنٌ به الدهـر يَكْمَد
فـا لِجُفُونى عِـذْرَةٌ حين تَرْقُـد * ولا لِدُمُوعى سَـلْوة حين تَجْمُـد
هـو الدهـر يرمينا بأسهم صَرْفِـه * فَيُصْمِى الرَّمايا حين يَرْمِى ويُقْصِد
فـلا جَمْعَ ألّا والزمان مُفَـرِّق * ولا شَمْـلَ الا بالخُطُـوب مُبَـدَّد
ولا عهـد الا والليـالى وصَـرْفُها * تَحُـول به عن كل ما كنتَ تَعْهَد

ولا حال الا وَهْىَ رَهْنُ تَنَقُّـــل * اذا صَلَحت فى اليـــوم أفسدها الغَد
جَرَتْ عادةُ الدنيا بكل الذى تَـــرَى * وليس لها تَـــرْكٌ لما تَتَعَـــوَّد
فصـــبرا وتســـليما لكل مُلِمَّـــة * اذا لم يكن يوما عـــلى الدهر مُنْجِـد
لَعَمْرُك ما أصبحتُ جَلْدًا عـــلى التى * مُنِيتُ بها لكنَّنى أتَجَـلَّد
أَفِى كلِّ يـــوم يُفْقِد الدهرُ ما جـــدا * يَعِـــزُّ علينا فَقْـــدُه حين يُفْقَد
وتَفْجَعُنا الدنيا بِعِـــلْق مَضَـــنَّةٍ * تُنَـــافِس فيـــه ما حَيِينا وتَحْسُـــد
نُوَدِّعُ خُلَّان الصـــفاء وتَقْطَع الـــ * ـــمقاديرُ مِنَّا وُدَّ من يَتَـــوَدَّد
نُفَارِق من نَلْـــقَى الرَّدَى بفـــراقه * ويَنْأَى القريب الإلْفُ منا ويَبْعُـــد
أرانا بصَـــرْفِ الدهر نَفْنَى وتَنْفَـــد * وتَفْـــنَى صُروف الدهر أيضا وتَنْفَد
عليـــك أبا بكر ســـلامٌ ورحمـــةٌ * بها فى جِنَان الخـــلد أنت مُخَـــلَّد
وجاد ثَرَى ضُمِّنْتَـــه كلُّ وابـــل * من المُـــزْن وَكَّافٌ يُرَاح ويُرْعَـــد
اذا ما اســـتطار الـــبرقُ فى جَنَباته * حَسِـــبْتَ الظِّبا فيـــه عشاء تُجَـــرَّد
وإن أَرْزَمَتْ فيـــه الرَّوَاعدُ خِلْتَـــه * حَنِين مَتَـــال فى يَفَـــاع يُـــرَدَّد
فقد ضَمَّ منكَ التُّرْبُ مَجْـــدا وسُؤْدَدا * يُقَصِّـــر عن أَدْنَى مَـــدَاه المُسَـــوَّد
فَقَدْنَاك فِقْـــدانَ المَصابيح فى الدُّجَى * اذا ضَلَّ عن قَصْـــدِ الهداية مَقْصَـــد
وماتت بموت العـــلم منـــك قلوبُنـــا * وكُنْتَ حَيَاها لم تزل بك تَرْشُـــد
لِتَبْكِكَ أبكارُ المَعَـــانى وعُونُهـــا * وغُرُّ القوافى حين تُرْوَى وتُنْشَـــد
تَسِـــيرَ مَسِـــيرَ الأنجُـــم الزُّهْرِ كلَّمـــا * خَبَا ضَـــوْءُ شِـــعْرٍ أشرقتْ تَتَوَقَّـــد
لَأَنْشَرْتَ بالعـــلم الخليـــلَ خَلْتُنـــا * نُشَاهِـــده إن ضَمَّنَا منـــك مَشْهَد
وجالَسْـــتَنا بالأصْمَـــعِيِّ ومَعْـــمَرٍ * وأوْجَـــدْتنا ما لم يكن قبـــلُ يُوجَد
وَخِلْنـــا أبا زيـــد لَدَيْنـــا مُمَثَّـــلا * وأنت بفضـــل العـــلم أعـــلى وأزْيَد
وشـــاهَـــدْتَنَا بالمـــازِنِىِّ وعلمـــه * وما غاب عَنَّـــا اذ حَضَـــرْتَ المُـــبَرَّد
وكنت إماما فى الروايات كلِّهـــا * يضافُ اليك الصِّـــدْق فيهـــا ويُسْنَد
هَوَتْ أنجمُ الآدابِ والعـــلم واغْتَدَتْ * رِياضُهُما من بعـــده وهى هُمَّد

obeikandl.com

وكانَ جنابُ العـــلم اذ كان مُخْصِـبا * وأفنـانُه مِيـــلٌ رِواءٌ تَمَيَّـــد
نقـــد أصبحتْ مُذْبان وَهْى هَشَائمٌ * ثَوَابِتُهـا تُجْتَثُّ منهـا وتُعْضَـــد
مَضَيْتَ أبا بكر حَمِيـــدا وخَلَّفَتْ * مَساعِيـــك فَضْـــلاً بيننا ليس يُجْحَد
كما وَدَّع الغيثُ الذى عَـــمَّ نَفْـــعُه * وأَضْحَى بـــه كلُّ البرية يُرْفَـــد
تَوَحَّـــدْتَ بالآداب والعـــلم والحجا * فأنت بحُسْن الذكر منها مُوَحَّـــدُ
حَمِـــدْنا بـــك الأيَّام ثُمَّتَ عاضَـــنا * مُصابُك منها ذَمَّ ما كان يُحْمَـــد
شَهِدْنا عـــلى الأيَّام أنَّ سُرورَها * غُـــرورٌ كما كنا بفضـــلك نَشْـــهَد
عـــلى أىِّ شئٍ منـك نَأْسَى اذا جرت * محاسِنُ وَصْـــفٍ بادِئاتٌ وعُـــوَّد
على علمِـك الوارى الزِّنادِ اذا غـــدا * زِنادُ امرئٍ فى علمـــه وهـــو مُصْلِد
وأخلاقك الغُـــرِّ التى لو تَجَسَّـــدَتْ * لكانت نجومَ السَّـــعْد حين تَجَسَّـــد
عـــلى رأيك الماضى المُضِىءِ الذى به * يُفَضُّ رِتاج الخَطْبِ والخطبُ مُؤْصَد
لقـــد شَمِلَتْ فيـــك الرَّزِيَّةُ يَعْـــرُباً * ولم يَحْـــلُ منها فيـــك من يَتَمَعْدَد
مَضَى ابن دُرَيْد ثم خـــلَّدَ بعـــده * ســـوائرَ أمثالٍ تَغُـــور وتُنْجِـــد
بدائع من نَظْـــمٍ ونَـــثْرٍ كأنَّها * عُقُـــودٌ زَهاها دُرُّها حين تُعْـــقَد
كأن لم تكن تُرْوِى غَلِيـــلَ مَسامع * بقَـــوْلٍ به يُطْفَى الغليـــل ويُـــبْرَد
ولم تَنْـــدَهِ الخَصْـــمِ الأَلَدِّ بمُسْكِتٍ * يُغَـــادِرُه مُسْـــتَوْهِـــلاً يَتَـــلَدَّد
ولم تُوقِـــظ الآراءَ عنـــد سِـــنَاتِها * وقـــد تَوْسَـــنُ الآراءُ حينا وتَرْقُـــد
ولم تَجْلُ أصـــداءَ القلوب ولم يُقِـــمْ * ثِقَـــافُـــك منها كُلَّ ما يتأوَّد
فما منك مُعْتاضٌ ولا عَنْـــك سَـــلْوة * نَظِـــيرُك معـــدوم وحُزْنى مـــؤبَّد
عليـــك ســـلامُ الله ما دَرَّ شـــارقٌ * وغَرَّدَ فى الأَيْـــك الحَمَام المُغَـــرِّد

كمل الكتاب والحمـــد لله وحده حمـــدا كثيرا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

obeikandl.com